التحليل ما بعد البنيوي لصور الطفل العربي
النزاعات العسكرية نموذجًا

د. مروة صلاح الدين عبد الله*

الملخص

تؤكد الدراسة على فكرة التزاوج والتعاضد بين النظريات الاجتماعية والمناهج البحثية وذلك بالربط بين المناهج البصرية من ناحية والمنظور ما بعد البنيوي في النظرية الاجتماعية من ناحية أخري، وفي ضوء ذلك تتحدد مشكلة الدراسة في رصد آليات ما بعد البنيوية في التحليل السوسيولوجي للصور، واستخدام تلك الآليات في تحليل عينة عمدية من صور الأطفال خلال فترات النزاعات العسكرية المسلحة في عدد من الدول العربية، هي كل من مصر وسوريا واليمن وفلسطين، ولقد اعتمدت الدراسة على منهجيتي تحليل التفاعل والتحليل السيميولوجي في تحليل سبع صور للأطفال العرب كضحايا للحروب من سياقات اجتماعية مختلفة باعتبار هاتين المنهجيتين تتلاءما مع ما بعد البنيوية كإطار نظري حيث تعتمد تلك الأساليب المنهجية على تحليل التفاعلات والرموز الكامنة في الصور، وتحليل سياق الصورة للكشف عن البني والعلاقات العميقة خلف الصورة، وفي هذا الصدد خلصت الدراسة إلى نتائج أوضحت فيها علاقة علم الاجتماع البصري بما بعد البنيوية، ومنهجيات ما بعد البنيوية في التحليل السوسيولوجي للصور، كما طبقت مقولات ما بعد البنيوية في تحليل عينة الدراسة، كما أوضحت آليات توظيف الصورة في نقل الواقع الاجتماعي الخاص بالأطفال في النزاعات العسكرية المسلحة، وناقشت علاقة الرمزية البصرية بالسياقات الاجتماعية كمدخل لتأويل الواقع الاجتماعي من خلال الصور، وفي نهاية البحث أوصت الدراسة بمتابعة البحث مستقبليا في تخصصات جديدة في علم الاجتماع كعلم الاجتماع البصري، وعلم الاجتماع التاريخي المقارن والاهتمام بفئات بشرية مهملة إلى حد ما،

---

* **مدرس بقسم علم الاجتماع، كلية الآداب– جامعة جنوب الوادي**

كالنازحين من المجتمعات المشتعلة بالحروب والنزاعات العسكرية، أو ضحايا الحروب عموما والنساء والأطفال منهم على وجه الخصوص.

الكلمات الدالة:

ما بعد البنيوية، البنيوية، علم الاجتماع البصري، المناهج البصرية، النزاعات المسلحة، الطفل العربي

Post - Structuralist Analysis of Arab Child Images: Military Conflicts as a Model

Dr. Marwa Salah El-Din Abdullah

Abstract

The study emphasizes the idea of cross-linking between social theories and research methods by linking the visual methods on the one hand, and the post-structuralist perspective of social theory on the other hand. In light of this, the problem of the study is to monitor post-structuralist mechanisms in the sociological analysis of images and to use them in analyzing a deliberate sample of children images during periods of armed military conflicts in a number of Arab countries: Egypt, Syria, Yemen and Palestine. The study relies on the methodology of interaction analysis and semiotic analysis in analyzing seven images of Arab children as victims of war from different social contexts. As a theoretical framework, these two methodologies get along with post-structuralism, as they rely on analyzing the interactions and symbols inherent in the images, and the context of the image to reveal the structures and deep relation behind the image. In this regard, the study reaches the results which show the relation

between visual sociology and post-structuralism. The results also clarify the mechanisms of using the image to convey the social reality of children in armed military conflicts. They show the visual symbolism association with social contexts as an introduction to the interpretation of social reality through images. Finally, the study recommends that future research be pursued in new disciplines in sociology, such as visual sociology and comparative historical sociology, and paying attention to the disadvantaged groups, such as those displaced from war-torn societies and military conflicts, or victims of war in general, women and children in particular.

Key words:

Post-structuralism – Structuralism – Visual Sociology – Visual Methods – Armed Conflicts – Arab Child

المقدمة:

ثمة خلاف لدي المنهجيين في رصد الواقع الاجتماعي، يقابله اختلاف لدي المنظرين في تفسير هذا الواقع، فمنهجيًا هناك مناهج كمية وأخري كيفية، ونظريًا تتعدد التوجهات ما بين نظريات أمبريقية ونقدية وتأويلية ومعيارية، وهنا يظهر التماس بين المنهج والنظرية حيث تلتقي المنهجية الكيفية مع التوجهات النظرية النقدية والتأويلية والمعيارية، أما المنهجية الكمية فإنها تلتقي مع النظريات الإمبيريقية، حيث تري النظريات الإمبيريقية أن الواقع الاجتماعي يمكن قياسه(Raymond L. Hall:2013 p10)، (ما يمكن ملاحظته يمكن قياسه) لذا تأخذ المنحى الكمي، في حين تشدد النظريات النقدية والتأويلية والمعيارية بأن الواقع الاجتماعي مختلف في تفسيره، فالنظريات النقدية تفسره وفقا للصراع الذي يؤثر بدوره في التفسير(Robert J. Franzese:2015, p119)، أما النظريات المعيارية فإنها تري أن المعيار الذي تقاس من خلاله الظاهرة، متباين وفقا لخصائص المبحوث، فالحق والخير والجمال والعدل والحرية قيم معيارية ونسبية القياس (Martin Howarth-Williams:2014 p188)، أما النظريات التأويلية فتري أنه ليس بمقدور شخص واحد أن يمتلك الحقيقة،فالحقيقة موزعة بين الأشخاص (Ieva Zake, Michael De Cesare :2011 p13).

وفقا لهذا الطرح فإن الصور في رصدها للواقع الاجتماعي يمكن أن تُحلل وفقًا للمنهجية الكمية أو الكيفية، وهنا تتلاقى المنهجية الكمية مع الطرح البنيوي للتفسير الذي يناقش الواقع الملموس concrete reality فالحقائق المادية لديه مقدمة على التفكير (Peter Hamilton :2015, p32)كما يؤكد على العلاقات الاجتماعية التي تعتمد على مبدأ التأثير السببي causal effect (Ross L. Matsueda: 2015, p33)، ذلك في الوقت الذي يرفض الاتجاه ما بعد البنيوي المنهجية الكمية من منطلق إن المناهج الوضعية positivist Methods قاصرة عن تفسير الواقع الاجتماعي حيث تخبر عن وجه واحد

للعالم الاجتماعي. (Norbert Wildermuth, Teke Ngomba:2016, p31)

نخلص من ذلك بأن التحليل السوسيولوجي للصور تحليل مرن يختلف باختلاف الأسس النظرية والمنهجية التي يستند عليها، وفي ضوء ذلك تناقش الباحثة هنا التحليل السوسيولوجي للصور من منظور ما بعد البنيوية واستناداً على المنهجية الكيفية في التحليل.

أولاً: صياغة المشكلة البحثية:

١. مشكلة الدراسة:

تؤكد الدراسة على فكرة التزاوج والتعاضد بين النظريات والمناهج وذلك بالربط بين المناهج البصرية من ناحية، والمنظور ما بعد البنيوي في النظرية الاجتماعية من ناحية أخري، فإذا كانت ما بعد البنيوية تعالج الواقع باعتباره نصا منطوقا فإن الصورة لديها نص مرئي، وفي ضوء ذلك تتحدد مشكلة الدراسة في رصد آليات ما بعد البنيوية في التحليل السوسيولوجي للصور، واستخدام تلك الآليات في تحليل عينة عمدية من صور الأطفال خلال فترات النزاعات العسكرية المسلحة في عدد من الدول العربية هي كل من مصر وسوريا واليمن وفلسطين، في ضوء ذلك يمكن صياغة أهداف الدراسة على النحو التالي:

٢. أهداف الدراسة:

- رصد علاقة علم الاجتماع البصري بما بعد البنيوية.
- التعرف على منهجيات ما بعد البنيوية في التحليل السوسيولوجي للصور.
- تطبيق مقولات ما بعد البنيوية في تحليل عينة من صور الطفل العربي في النزاعات العسكرية.
- التعرف على آليات توظيف الصورة في نقل الواقع الاجتماعي الخاص بالأطفال في النزاعات العسكرية المسلحة.
- الربط بين الرمزية البصرية والسياقات الاجتماعية وصولا إلى تأويل الواقع الاجتماعي من خلال الصور.

تطرح هذه الأهداف عددا من التساؤلات التي تسعى الدراسة للوصول لإجابات لها .

٣. تساؤلات الدراسة:

- ما أوجه التماس أو نقاط الالتقاء بين علم الاجتماع البصري وما بعد البنيوية؟
- ما منهجيات ما بعد البنيوية في تحليل الصور سوسيولوجيا؟
- ما مدي تمثيل الصور للواقع الاجتماعي وفقا لمنظور ما بعد البنيوية؟
- ما الدلالات الاجتماعية لصور الطفل العربي في فترات الحروب من منظور ما بعد البنيوية؟
- كيف تم توظيف الصورة لنقل الواقع الاجتماعي الخاص بالأطفال في فترات الحروب؟
- ما أوجه الارتباط بين الرموز البصرية والسياقات الاجتماعية في عينة الصور محل التحليل؟

ثانياً مبررات الدراسة وأهميتها:

عكف علم الاجتماع خلال تاريخه الطويل على تحليل الواقع الاجتماعي للبشر من خلال التعبير اللغوي عن هذا الواقع من قبل من يعايشونه، فاللغة ومفرداتها كانت ولا تزال الوسيط الأساسي لنقل هذا الواقع للباحث السوسيولوجي، وبالرغم من تزامن ظهور الكاميرا الفوتوغرافية (١٨٢٦)، (Geoffrey Batchen:2008,674) وعلم الاجتماع (١٨٣٨) (Rob Beamish:2016, p151) إلا أن علم الاجتماع ظل لوقت طويل متجاهلا تلك الإمكانية التي تقدمها هذه الأداة الجديدة (آلة التصوير) إلا في النذر اليسير، وذلك على عكس الإنثروبولوجيا والتي اعتمدت على الصور بأنواعها (الثابتة، والمتحركة، الفوتوغرافية والمرسومة) في وقت مبكر من تاريخها وذلك باعتبارها وسيطا فعالا في نقل ثقافات الشعوب المختلفة.

ظلت القطعية بين علم الاجتماع والتصوير بشتى أنواعه حتى عهد قريب، حين طرح تخصص جديد في أوساط العلم السوسيولوجي والذي أطلق عليه علم الاجتماع البصري، ذلك التخصص الذي ينشغل بمهمتين أساسيتين: أولهما: استخدام المناهج البصرية في بحث ودراسة المجتمع البشري والاستفادة القصوى من الإمكانيات التي تقدمها تكنولوجيا التصوير في جمع وتسجيل البيانات البصرية، ثانيهما: التركيز على معاني التمثيل البصري للثقافة John)

(Grady:2006, p63 والواقع الاجتماعي من خلال ما يطرحه هذا الواقع من منتجات مرئية بكافة أشكالها: صور فوتوغرافية أو أفلام وثائقية أو سينمائية أو لوحات فنية أو حتى رسومات بسيطة لأشخاص عاديين، فمن ناحية ترتبط هذه المنتجات بشكل أو بآخر بالواقع الذي ينتجها وبالثقافة التي تشكلها، ومن ناحية أخرى، فكل منتج من تلك المنتجات البصرية يحمل كما من الدلالات والمعاني ويكشف عن كثير من العلاقات وأشكال التفاعل مما يجعلها موضوعًا خصبًا لعلم الاجتماع البصري، وبذلك استطاع علم الاجتماع البصري أن يتقاطع في قضايا اهتمامه مع كل من علم اجتماع الإعلام وعلم اجتماع الفن وأضاف عليهما مناهج تتسم بنفس الطابع البصري وتجمع وتحلل بيانات مرئية.

ولقد نجح علم الاجتماع البصري خلال سنوات قليلة أن يجذب أعداداً كبيرة من المهتمين والمتخصصين في العلوم الاجتماعية إلى الدرجة التي ساعدت على تأصيله أكاديميا وتنظيمياً في العالم الغربي، فأصبحت له مقرراته الجامعية وتنظيمات بحثية ترعي العديد من الأنشطة المرتبطة به مثل الجمعية العالمية لعلم الاجتماع البصري (IVSA) (١٩٨٣) فضلاً عن ظهور دوريات علمية معنية بهذا المجال منها: الدراسات البصرية Visual Studies (علم الاجتماع البصري Visual Sociology سابقا) والأنثروبولوجيا البصرية Visual Anthropology، وكذلك مجلة الأنثروبولوجيا البصريةVisual Anthropology Review بالإضافة إلي الدوريات ذات الخلفية المرتبطة بالدراسات الإنسانية مثل: الاتصال البصري Visual Communication ومجلة الثقافة البصرية Journal of Visual Culture، (Luc Pauwels: 2015, pp3-4) وبالرغم من هذا النجاح إلا إننا لا نستطيع أن نجزم بوجود هذا التخصص في العالم العربي مما شكل دافعاً قوياً لدى الباحثة للاهتمام بهذا التخصص الجديد على واقعنا بهدف الوقوف على أهم منطلقاته النظرية واتجاهاته المنهجية مع محاولة استخدامها في تحليل الصور كمصدر للواقع الاجتماعي، مما له أهمية في متابعة مستجدات العلم من ناحية، وفتح آفاقاً جديدة لعلم الاجتماع في مصر من ناحية أخرى.

يضاف إلى الأهمية السابقة، إن ما تشهده المنطقة العربية في الآونة الأخيرة (فترة الربيع العربي وما تلاها) من أحداث وصراعات سياسية وعسكرية ألقى بظلاله المأساوية على الجانب الإنساني، وخلف وراءه الكثير من الضحايا وعلى الأخص النساء والأطفال، ولأن علم الاجتماع معنى بدراسة قضايا المجتمع ومشكلاته، فلا يجب أن يكون بمعزل عما تمر به المنطقة من توتر سياسي وعسكري وما يترتب عليه من تبعات إنسانية، وفي ضوء ذلك وجد أنه من الأهمية بمكان التصدي لمثل تلك القضايا لربط البحث العلمي بالواقع الحياتي المعاش، واستناداً على ذلك تم اختيار صور الأطفال أو الحوادث الموجهة للأطفال في فترات النزاعات العسكرية كمادة للتحليل، وبذلك تتحقق غايتان الأولي: تطبيق منظور ما بعد البنيوية في تحليل الصور، والثانية: مناقشة قضية معاصرة فرضتها الأحداث في المنطقة العربية ألا وهي الطفل كضحية للحروب والنزاعات المسلحة.

ثالثاً: المدخل النظري: ما بعد البنيوية: المفهوم والمحتوى:

يُشار إلى ما بعد البنيوية بأنها مرحلة لاحقة للبنيوية أو متقدمة عليها وفقا للأصل اللغوي للسابقة Post التي تعني التجاوز أو ما بعد، وكلا التعريفين يمكن إيجاد أثره في الاتفاق والاختلاف بين البنيوية وما بعدها (Foucault, M.:1996,253)، لذا فمناقشة جوهر ما بعد البنيوية يقتضي البدء بالبنيوية أولاً.

تعد البنيوية بمثابة حركة فكرية نشأت في فرنسا في العقد الخامس والسادس من القرن العشرين علي يد كلود ليفي شتروس عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي، وإن كانت جذورها الفكرية تعود إلى عالم اللغويات ومؤسس علم السيميولوجيا (علم العلامات/ السيمياء) فرديناند دو سوسير (Patricia Waugh:2006,260).

تري البنيوية أن الثقافة الإنسانية تُحلل سميولوجيا من خلال نظام العلامات، والبناء يحدد كيف أن عنصرًا ما يرتبط بالكل، وفقا للبنيوية المعني حرفي، معني العلامة ليس له سياق يحيط به ويكتسب معناه من داخله.(website: OCA Photography Level 3 Course:2019)، ويقوم النظام الفكري للبنيوية على قاعدة النظام اللغوي ليس تسجيلا

أو انعكاسًا للعالم ولكنه تشكيل له، لذا فالكيفية التي نري بها العالم هو ما نراه how we see is what we see.يحاول التحليل البنيوي إيجاد القوانين والتوازي parallelism، والعلاقات، والمعادلات equivalences،التي تري أن البني اللغوية داخل النص تنظم النص، ويتميز التحليل البنيوي بالثنائيات المتعارضة Binary oppositions الذي استقي من قبل دو سوسير الذي يعتمد على العلاقة الاختلافية مع العلامة الأخرى، مثل: الرجل/المرأة، الضوء/الظلام (Cerezo Moreno Marta:2016,p68) مؤكدا على أن اللغة نظام ثابت من العلامات. (Andreas Bieler, Adam Morton:2014,66).

قوضت أفكار جاك دريدا Jacques Derrida أفكار البنيوية من خلال الورقة البحثية التي قدمها عام ١٩٦٦ إلي مؤتمر جامعة الأمريكية "العلامة واللعب في العلوم الإنسانية" حيث رأي أن أية محاولة لعدم كشف أو ستر المعني بمثابة تشجيع للأسطورة comforting Myth، وقال لا توجد علامة أو نظام من العلامات ثابت، والمعني دائمًا مؤجل Deferred، ومن ثم فأي نظام أو تفسير يتم التراجع عنه دائمًا من قبل العناصر التي يحتوي عليها. (Patricia Waugh:2006, p411) وعلى الجانب الآخر، قوضت ما بعد البنيوية مفهوم التمثيل Representation ومطابقة الصور للواقع(Robert Young:1996,p73)حيث رأت أن العلامة ليست شرطا أن تشير إلى مفهومها الحقيقي ولكنها ترتبط بعوامل أخري، (Keith Kenney:2005, p99) ،ومن هنا يبدو أن التناول ما بعد البنيوي لأزمة التمثيل التي اتسعت أرجاؤها في كافة العلوم والفنون والآداب في أواخر الثمانينيات أسهم أيضا في حضور قضية التمثيل في بؤرة النقد الأبستمولوجي ما بعد الحداثي، حيث تعتبر ميرشندي *Mirchandani* أن التوجه ما بعد البنيوي لأزمة التمثيل واحدا من أهم العوامل التي أسهمت في تطوير ما بعد الحداثة أبستمولوجياً (Rekha Mirchandani:2005, p89).

كما يعد رولان بارت Roland Barth من أوائل من اشترك في تقديم الفكر ما بعد البنيوي، ومن أوائل من طبق أفكار السيميائية ونقلها من اللسانيات إلى الصور المرئية، حيث

سعي إلى تحليل كيف أن المعاني التي نعزوها إلى الصور ليست نتيجة "طبيعية" لما نراه؛ أي: إن الصور ليست بديهية وعالمية في كيفية فهمنا لما نراه. وفرق بين نوعين من نظم دلالات الصور: أطلق علي أحدهما: النظام الأول first order أو المعني الأساسي basic meaning، وأطلق علي الآخر، النظام الثاني second-order أو المعني الثقافي، حيث يشير النظام الأول إلى المعني الدلالي (المعني الظاهرdenotation) لإدراك ما هو مسجل في الصورة أما النظام الثاني فأطلق عليه المعني المصاحب connotation فإنه يشير إلي الدعوة لتفسير الصورة وإعطاء معني للأشكال حتى لو كانت ضد أو وراء مقصد المصورين (Brianl. Ott:2016,p156)، لذا أطلق عليه الأسطورة Myth؛ لأن تمثيل العلامات مخصب Impregnated بالمعاني الاجتماعية والثقافية التي تصنع صورة إيديولوجية للعالم. لذا رأي بارت أن الصورة متعددة المعاني Polysemic وظرفية contingentوديناميكية لذا فإن الصورة ليست بريئة في عكسها للواقع لذا فإن تمثيلها للواقع مفتوح الدلالات، لذلك فإن الصورة يجب أن تحلل في ضوء علاقتها بالممارسات الثقافية، والتاريخ الاجتماعي. (Mary Eagleton:2008,174)

إن ما بعد البنيوية لا تنظر إلي اللغة كبناء ثابت(سواء أكانت منتجًا نصيًا أم بصريًا)، ولكنها تنظر إليها كعملية بنائية في ضوء علاقة القارئ أو المشاهد أو المستهلك للمنتج البصري، لذا هناك تأكيد علي تأثير اللغة ودور الفرد في صناعة المعني، وتبدأ منهجية ما بعد البنيوية من فكرة التفكيك، فالواقع بمثابة ومضة، فهي في قطيعة في نظرها للموضوع أو الحدث من الداخل بوصفه نظاما، وتركز مناقشات ما بعد البنيوية علي الفهم عوضا عن تفسير الواقع، فالمقاربة السيميولوجية والتأويلية أكثر اتساقا في شروطهما مع منهجية ما بعد البنيوية، حيث لا يوجد واقع واحد يمكن قياسه ولكن ثمة واقع متعدد الاتجاهات. (Antonio Sandu:2011,pp39-52)

تغطي مابعد البنيوية عدداً من التحليلات المرتبطة بالعلاقة بين القوة واللغة والمعرفة، التي لها وجهة نظر مشتركة بأن المعرفة سياقية ومجزئة ومفتتة، وليست محايدة في تشكل قوة العلاقة

بين الأفراد والمجموعات، وترفض مابعد البنيوية كون الحقيقة مفردة كما ترفض النظريات الكبرى وأنظمة التفكير التي تدعي كشف الحقيقة، متضمنة الدين والعلوم وواقعية العلوم الاجتماعية، وتؤكد أن العلاقة بين القوة والمعرفة لها تداعيات على الذاتية والهوية (Fox, N.J:2014, p782).

وعلى هذا الأساس يمكن تحديد مقولات ما بعد البنيوية على النحو التالي:

١- تنتقد ما بعد البنيوية بشدة وحدة استقرار العلامة (رؤية دي سوسير)، مركزة على تفتيت اللغة والزمان والذاتية الإنسانية، حيث إن الحقيقة مجزأة وغير يقينية ومنزوعة من السياق Decontextualized لذا تعتمد ما بعد البنيوية علي المعاني الفردية والسياقات المغمورة Dual Immersion. (Samina Hadi-Tabassum:2006,10-11)

٢- أحدثت ما بعد البنيوية تحولا من الدال إلي المدلول، لذا فإن الحقيقة فقدت معناها النهائي أو حالة الاستقرار، حيث ركز دريدا علي عدم وجود عالم حقيقي علي الإطلاق، ولكن توجد صور له فقط، وهذه الصور غاية في التعسفية Completely arbitrary لأنه لا توجد أصول لأي شيء تضمن الحقيقة، لذا فإن اللغة ونظام العلامات الأخرى (الخطابات) ليست لها معني في تمثيل العالم، وغاية ما يصنعونه أن يشيروا لأنفسهم، فالعلامات لا تشير إلي الواقع، فلا يوجد شيء مثل الشيء ذاته، ولكن العلامات تشير إلي علامات أخري في سلسلة لا نهائية من الدلالات. (James P. Spradley:2017, p96).

٣- انتقدت ما بعد البنيوية الثنائيات المتصلة بالمفهوم الديكارتي الخاص بوحدوية الموضوع unitary subject (الموضوع/ المؤلف) كمنشأة للوعي، وأعطت السلطة للمعني والحقيقة مركزة على الذاتية(J. Wallace:2005,p30).

رابعاً: الأطر النظرية والمنهجية لعلم الاجتماع البصري (التراث النظري والبحثي):

يعتمد العرض في هذا الجزء من الدراسة على دمج الدراسات السابقة مع مناقشة قضية الصورة كموضوع لعلم الاجتماع البصري ومادة للتحليل في البحث الاجتماعي، وسيتم ذلك عبر ثلاثة محاور تُشكل في مجملها متغيرات الدراسة الرئيس،يناقش الأول: الأطر النظرية لعلم الاجتماع البصري، أما الثاني فيتناول منهجية التحليل البصري، في حين يرصد الثالث التصوير البصري للأطفال كضحايا للحروب، فضلا عن اختتام المناقشة بعرض تعليق للدراسات السابقة التي تم تناولها في هذا الجزء.

١. المحور الأول: الأطر النظرية لعلم الاجتماع البصري.

تتعدد الأطر والمداخل النظرية في تناولها للأشكال البصرية سوسيولوجياً؛ نظرا لتشابك هذا الموضوع مع تخصصات مختلفة مثل: الفن، وفلسفة الجمال، والإعلام فضلاً عن اللغة التي تتشارك مع الصورة في فكرة تأويل المعنى، ولكل واحد من تلك التخصصات منظوره الذي يرتبط أو ينفصل عن علم الاجتماع، لذا فإن علم الاجتماع البصري في تركيزه على السياق الاجتماعي للصور يلتقي مع هذه التخصصات بشكل عام من حيث الأصول الأبستمولوجية والأنطولوجية والأكسيميولوجية التي تتشكل منها النظرية، ولكنه يختلف من حيث التناول التطبيقي. ومع كثرة تلك التخصصات التي تشارك علم الاجتماع البصري في الاهتمام بالصورة وتأويل المعنى، آثرت الباحثة اختيار اثنين فقط من تلك التخصصات وهما: اللغة باعتبارها المجال الأساسي في التحليل ما بعد البنيوي والثاني: علم اجتماع الفن لما يتسم به من تقارب شديد لعلم الاجتماع البصري،لذا يتناول هذا المحور الأطر النظرية لعلم الاجتماع البصري وارتباطها بالأطر النظرية في كل من اللغة وعلم اجتماع الفن.

أ. التماس بين اللغة وعلم الاجتماع البصري

ينطلق اهتمام علم الاجتماع بالأشكال البصرية من خلال اللغة كوسيلة اتصال، فاللغة لا تنطوي على النصوص أو الكلمات فحسب، ولكن تنطوي على الخصائص السيميولوجية Semiology (السيميائية/ علم العلامات) للغة، فإننا نمثل الواقع من خلال التمثيل البصري

للعالم والصور المرسومة في عقولنا حول ذلك الواقع الاجتماعي(Elizabeth Chaplin:1994,p1).

وبدأت جذور السيميولوجي في علم اللغة لدي دو سوسير في فرنسا عام ١٩١٤ وكانت تطبيقاتها علي اللغة النصية فقط، ثم بدأت ترتبط بالدلالات البصرية فيما بعد، وانتقلت إلي تخصصات متعددة منها علم الاجتماع البصري في إشارة إلي ثنائية اللغة (الدال والمدلول) مقابل ثنائية الصور العقلية والصورة البصرية والداخل والخارج، فهذه الصور تتألف من دال ومدلول حيث ينصرف الأول إلي الصورة المرئية بينما ينصرف الثاني إلي الصورة العقلية،فكلمة شجرة تشير دلالاتها (صورتها الإدراكية) إلي صورة الشجرة، بينما مدلولها (التصور العقلي) يختلف من شخص إلي آخر، فالبعض يتصورها شجرة برتقال أو شجرة تفاح...إلخ ،كما يتباين الأشخاص في رسم تصورهم العقلي وفقا للبيئة والزمان المقترنان بإدراك الدال، فالبعض يدركها في بيئة حارة أو باردة / ريف أو حضر، ومن ثم فإننا نتفق حول الدالsignifier ونختلف حول المدلول signified (David Ross Scheer:2014,p22).

بيد أن البنيوية وما بعد البنيوية يختلفان في العلامات حيث تري البنيوية ثبات الدال وتنظر إلي السلوك الاجتماعي بوصفه نظاما مغلقاً من العلامات، وبناء عليه فإن المنظور البنيوي ينظر إلي السيمائية بوصفها نظاما مغلقاً من العلاقات، حيث يري أن التعبيرات الثقافية للمجتمعات متفق عليها فالإيماءات Gestures وطريقة اللبس وعلامات المرور هي نظام من العلامات متفق عليه لتنظيم المعني (Cerezo Moreno Marta:2014,pp66-67) ،في الوقت الذي تري فيه ما بعد البنيوية تنوع الدال، فإنها تقول بعدم نهائية الدلالات، فكل دال مرتبط بدال آخر، وكل دال يحيل إلي مدلول آخر وفقا لآليات الاختلاف،مما يفضي بأن المعني الحقيقي مستحيل الوصول إليه، وهذا ما قال به الاتجاه التفكيكي الذي قدمه جاك دريدا (LadanModir, Ling C Guan and Sohaimi Bin Abdul:2014,p259).

علي الرغم من ذلك فإن التوجه البنيوي، وما بعد البنيوي يتعيشان في البحث العلمي، من خلال تركيز الأول علي التحليل الكمي وانتهاج الآخر التحليل الكيفي، وفقا لذلك فقد استخدم هانس بلتنج Hans Belting عام ٢٠١١ كلا التوجهين كأساس لجذب الانتباه إلي أهمية التحليل الداخلي (البنيوي) والخارجي (ما بعد البنيوي) للصور، وقد توصل إلي معنى الصور ومضمونها المعرفي يرتبطان بالأشخاص الذين يتلقون هذه الصور ويصوغون تصورهم حولها، فالصور تكتسب أهميتها وفقا للأفراد الذين يتعرضون لها،وليست وفقا للصورة في حد ذاتها، فالأفراد هم الذين يصوغون المعني حول هذه الصور، فعملية صنع الأفراد للمعاني تختلف من فرد إلي آخر وفقا لثقافته وبيئته (Harald Klinke:2014,pp1-10).

وفي دراسة تيم سترانجلمان (Tim Strangleman:2008,pp1491-1505) حول تمثيلات العمل في سياق علم الاجتماع البصري في مجال العمل حاول الباحث الكشف عن الإمكانية التي تتيحها المناهج والتوجهات والمصادر البصرية لعلماء اجتماع العمل، بالتركيز على مسألة ما يمكن أن يضيفه البعد البصري على فهمنا لأماكن العمل والعمال وعمليات أداء العمل ذاته، ولقد أكدت الدراسة حاجتنا لتطوير وتمديد اللغة السوسيولوجية للبعد البصري لتحقيق فهم أفضل للسمات الثقافية وغيرها من سمات العمل والتوظيف.

أما دراسة جوخان فيلي كوكترك(Gökhan VeliKöktürk: 2012, pp1200-1203)، حاولت تقييم الأسس النظرية لمحتوى ومعنى علم الاجتماع البصري، والعلاقة بين الصور البصرية والثقافة، وكذلك تقييم منهجية علم الاجتماع البصري ووظائف علم الاجتماع وعلماء الاجتماع في تقدير قيمة المنتج البصري وتوصلت الدراسة إلى أن الصور تعد أداة كيفية جيدة لجمع المعلومات التي لا يمكن سماعها.

وأكدت دراسة إيمي سكوت (Amy Scott Metcalfe:2012,pp517-534 على استخدامات المنهجية الكيفية في تناول الصور حيث رأت بأن المنهجية الكيفية تتحقق من خلال توظيف الصور في المقابلات الكيفية، والأثنوجرافيا البصرية، وتحليل الخطاب

البصري، وباختصار يتم استخدام المنهجية الكيفية في جمع وتحليل البيانات البصرية المتعلقة بالظواهر الاجتماعية.

ب- التماس بين علم اجتماع الفن/ علم الاجتماع البصري

يُعد علم اجتماع الفن sociology of art فرعًا من علم الاجتماع يُعني بالعالم الاجتماعي للفن والجماليات aesthetics ، ومن ثمة فهو يهتم بتأثر المجتمع بالفن وتأثير الفن في المجتمع(Peterson's College:2005,p272) وتشير بدايات هذا العلم إلي أنه حدث تحول في مجال بحوث تاريخ الفن في منتصف القرن العشرين، فقد بدأت منهجية تاريخ الفن تتحول من بحوث الشكل والأسلوب إلي علم اجتماع الفن، وقد لعب مؤرخ الفن المجري أرموند هُيسر Arnold Hauser دورًا محوريًا أثناء فترة التحول بوصفه واحدًا من مؤسسي علم اجتماع الفن من خلال كتابه التاريخ الاجتماعي للفن الذي صدر عام ١٩٥٣(Feng Baifan:2013,p6).

أما البداية الرسمية فقد كانت علي يد حنا دينهارد Hanna Deinhard من خلال كتابها باللغة الألمانية ١٩٦٧ الذي ترجم إلى الإنجليزية ١٩٧٠ (المعني والتعبير: نحو علم اجتماع الفن) فقد نجحت في التفريق بين تاريخ الفن وعلم اجتماع الفن، حيث رأت الفن يتسم بالخلود ويعبر عن زمانه، وميزت التعبيرات البصرية عن المعني، حيث يتصف الأول بالثبات النسبي، أما الثاني فمعرض للتغير (p72Deinhard, Hanna:1970).

وفقا لهذا السياق نُظر إلي الفن بأنه ثابت وسياقي الزمان، في الوقت الذي نُظر فيه إلي المعني بأنه متغير، وعلي هذا الأساس تم فصل المعني عن التعبير، وقبيل هذه الفترة كان ينظر إلي علم اجتماع الفن بأنه هجين بين التاريخ والفن وغير ذي صله بعلم الاجتماع، فقبل ثمانينيات القرن العشرين لم تقبل البحوث الخاصة بالمتاحف، والتصوير ضمن دراسات علم الاجتماع، وكان ينظر إليها بأنها بحوث لا تحظي بالشرعية مشوبة بالريبة، ولكن في عصر ما بعد الحداثة، تم النظر إلي الفن بشكل آخر، وتم إدراج هذه البحوث ضمن فروع علم الاجتماع (Laurie Hanquinet, Mike Savage:2015,p234).

إن التحولات التي أفضت إلى ظهور علم اجتماع الفن بدأت حقبتها التاريخية مع بداية البنيوية، وتم تدشينه كفرع مستقل من علم الاجتماع مع بدايات ما بعد البنيوية، حيث شهد ميلاده رفضا من قبل علماء الاجتماع الذين كانت تتجه رؤيتهم بأن الفن متصل بسياقه الزماني، ولكن الرؤية ما بعد البنيوية ترفض المطلق وتري أن الفن يؤثر ويتأثر بالآخر.

وعلى هذا الأساس يلتقي علم الاجتماع البصري مع علم اجتماع الفن، حيث إن المدارس الفنية تتباين في تأويلها للواقع الاجتماعي بين ثلاثة مدارس هي: الواقعية Realism والرمزية Symbolism والتبسيطية Minimalism التي تتناول الأشكال البصرية (HarryJamieson:2007,p58).

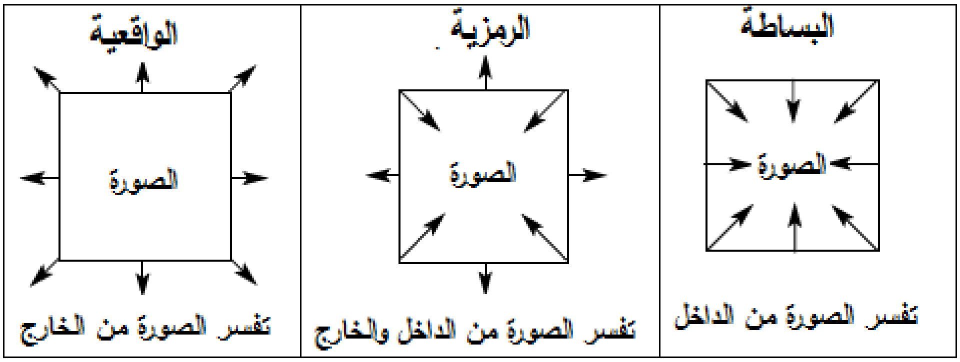

تعني الواقعية Realism حذف كل ما هو ذاتي وتصوير العالم كما نراه، ومن ثمة يصبح الفنان الواقعي فنانا وصفيا يقدم التقرير عما يجري في الواقع ولا يقدم أي تعليق، أما الرمزية فإنها تركز علي السياق الداخلي والخارجي لتفسير الظواهر من خلال تفسير تأثير البني الخارجية علي البني الداخلية، يتحرك التفسير الرمزي وراء النطاق الدلالي semantic للسانيات linguistics إلي عالم الحدث intuitive realm (Adesola Joan Akala:2014,p39) أما نظرية التبسيط minimalism فتعد من النظريات الذاتية مثل التعبيرية، التي تستخدم الحد الأدنى من الفن لتوصيل الرسالة معتمدا علي التعبيرات الداخلية للصورة. (HartmutObendorf:2009,p65).

وفقا لهذا السياق تناولت دراسة روبرتو سيبريانيو إيمانويلا سي. ديل ري (Roberto Cipriani and Emanuela C. Del Re:2012,pp5455-) الخيال

والمجتمع: دور علم الاجتماع البصري، التي أكدت على دور علم الاجتماع البصري من خلال استخدام الصور والأفلام والفيديو لالتقاط وتقييم جوانب الحياة الاجتماعية والإشارات الاجتماعية، من خلال إثارة العلاقة بين الملاحظ (الفنان) والملحوظ (الشيء الملتقط أو المصور)، وخلصت الدراسة بأن علم الاجتماع البصري من خلال دراسته للرموز الاجتماعية يؤكد على حقيقة أنه يمكن دمج المعلومات بشكل صحيح، من خلال إدخال نهج متعدد الوسائط في تحليل الإشارات الاجتماعية.

٢- المحور الثاني: منهجية التحليل البصري:

بمراجعة أدبيات الدراسة التي تنشغل بقضية التحليل البصري، نجدها تتفاوت في تحديد القضايا المحورية في التحليل البصري فبينما يري البعض أنها موزعة بين (الأخلاقيات، والأثنوجرافيا البصرية، وتحليل التفاعل الاجتماعي، والاثنوجرافيا الافتراضية virtual ethnography) (Sarah Pink:2012,p4) يري البعض الأخر أن منهجية التحليل البصري تتحدد من خلال أربع قضايا: الأولي: تتناول المبادئ والقضايا والمناقشات حول جدلية البحث البصري، والثانية: التوثيق والتمثيل البصري للواقع الاجتماعي، والثالثة: التفسير والتصنيف، والرابعة: الاستقطاب elicitation والتعاون collaboration بين المجالات والأدوات البحثية المختلفة للمناهج البصرية، فالبعض يدمجها داخل أدوات تقليدية مثل: المقابلة والسرد Narrative، والبعض يستخدمها للتعاون في تحقيق الأهداف البحثية مثل: القص البصري Visual storytelling (Jason Hughes:2012,p143).

لم تقف المجالات التنظيرية بعيدة عن المشهد المنهجي، فقد ربط البعض بين المجالات التنظيرية والمنهجية، فقد تم ربط تحليل الصور بكل من تحليل المضمون والتحليل الثقافي والسميولوجيا (علم العلامات)، والتحليل النفسي Psychoanalysis وتحليل الخطاب والسياق والتناص Intertextuality والثقافة البصرية، ودراسات الجمهور والدراسات الاثنوجرافية والأساليب الرقمية للتصوير متضمنة الصور الرقمية والتحليل الرقمي Digitally Analyzed وكذلك أكد هذا النمط علي استخدام الصور كنوع من بيانات البحث

المستخدمة في التوثيق، واستنباط الصور Photo-Elicitation للواقع الاجتماعي (Gillian Rose:2016, Pp X- XIII).

وفقا للعرض السابق تتعدد الأطر المنهجية البصرية لتحليل الصور وفقا للمنظور الذي يتم النظر من خلاله للصور، نعرض لهذه المناظير بشكل محدد بهدف تحديد الإطار المنهجي الأكثر مناسبة للدراسة من خلال المزج بين أكثر من أسلوب للوصول إلي هدف الدراسة الخاصة بتعدد الرؤى اتفاقا مع النهج ما بعد البنيوي ولا يتأتى ذلك إلا من خلال عرض التوجهات الكيفية، لذا يتم استبعاد المنهجية الكمية في تحليل الصور لتعارضها مع التوجه ما بعد البنيوي لتحليل الصور من زاوية ولاختلاف نظرتها للواقع الاجتماعي من زاوية أخري. تُشكل هذه الأطر ستة أنماط للتحليل هي:

١- **التحليل الأثنوجرافي التخيلي** للصور الذي يتصل بتحليل ممارسات العمل اليومي التي يكون فيها الباحث جزءا من عملية الملاحظة بالمشاركة، وتتضمن هذه الأدوات: المقابلات والمجموعات البؤرية والملاحظة ، ويتم تسجيل المشهد البصري ويستخدم للتعمق في البحث والتقصي(Christen Hine:2000,p41).

٢- **نظرية النشاط**: تسعي هذه النظرية لفهم أنشطة البشر كظاهرة اجتماعية معتمدة على بارادايم الانعكاس paradigms of reflexology الذي يربط بين الظواهر النفسية التي تخرج من الإنسان والواقع الاجتماعي، وعلى هذا الأساس تعتمد على نوعين من الأدوات المنهجية أحدهما: يطلق عليه الأدوات المادية Material Tools المستخدمة من قبل الأشخاص في الصورة، والأخرى يطلق عليها الأدوات النفسية Psychological Tools مثل العلامات Signs والرموز Symbols (Sasha A. Barab Michael A. Evans and Eun-Ok Baek: p2004, pp199-214) معتمدة على ثلاثية كشف الواقع من خلال الأفعال والعمليات والأنشطة، حيث يتصل فعل الأفراد أو المجموعات بهدف، والأنشطة ترتبط بالمجتمع كباعث Motive للنشاط، أما العملية فهي مجمل التفاعل

بين الأفعال والأنشطة (Dilani S. P. Gedera: 2015, p126,P. John Williams).

٣- **تحليل التفاعل** يركز هذا التحليل على الوحدات الصغرى المتتابعة sequence بشكل متعمق مثل: الإيماءات وتعبيرات الوجه التي تعد لغة عالمية يمكن من خلالها تحديد الملامح العاطفية للتفاعل معتمدة على آلية الاستنتاج والاستنباط (Kostas Karpouzis,et al.,:2005,pp318-328).

٤- **تحليل الحركة** Movement Analysis التي قدمها رودلف لابين Rudolf Laban المجري في بداية القرن العشرين تتضمن تحليل عدد من العناصر منها: تحليل حركة الجسم، والمكان، والشكل والتي تري أن الإنسان يتحرك لإرضاء حاجة والتي تؤثر بدورها في الأنشطة البشرية وتفاعل الإنسان مع الآخر وتفاعله مع بيئته وواقعه الاجتماعي التي يمكن من خلالها كشف النشاط الاجتماعي، معتمدة علي تحليل الملاحظات (Moore, C., Yamamoto, K., & Moore, C.:1988, p94).

٥- **التحليل السيميولوجي:** ينطوي التحليل السيميولوجي علي بعدين: أحدهما يتصل بالبنيوية التي تقول بالتطابق بين الدال والمدلول ويتبني هذا الاتجاه دي سوسير حيث يركز هذا الاتجاه علي الموضوعية، (Johannes Beetz:2016,pp77-78) والآخر يتصل بما بعد البنيوية التي تقول بالاختلاف بين الدال والمدلول ويتبني هذا الاتجاه رولان بارت الذي يشدد علي الذاتية في فهمنا للعلامات، ويؤكد لاكان Lacan علي التصور Mental Concept الذي ينفصل فيه الدال عن المدلول،(Kareen Ror Malone, Stephen R. Friedlander: 2012,p70) وفقا لهذا السياق تعتمد المنهجية السيميولوجية وفقا للمنظور ما بعد بنيوي علي آلية السياقية والاختلاف .

٦- **النظرية الموثقة**: يتم النظر إلى هذه النظرية على أنها تجمع بين النظرية والمنهج حيث تعتمد على النهج الاستنباطي inductive method الذي ينتقل من البيانات إلى النظرية وليس من النظرية إلى تحليل البيانات، من خلال تجميع الفئات المتشابهة وربطها ببعضها عن طريق عمل الخرائط الموقفية Situational maps للمواد البصرية لتفسير الظاهرة بشكل تأويلي (Adele Clark:2012,pp228-232).

نخلص من العرض السابق، بأن تحليل التفاعل والتحليل السميولوجي يتوافقان مع النهج ما بعد البنيوي من ناحية وطبيعة مادة التحليل من ناحية أخرى، وقد تحتاج بعض الصور منهجية تحليل الحركة، وإن كانت هذه المنهجية أكثر استخداماً في تحليل الصور المتحركة كأفلام الفيديو بمختلف أنواعها.

٣- المحور الثالث: التصوير البصري للأطفال:

تعددت الدراسات التي تناولت التصوير البصري للأطفال وتفاعلهم مع البيئة المحيطة بهم، بعض هذه الدراسات ذات طابع اجتماعي، والآخر أنثروبولوجي، وكلاهما يلتقيان في مجال الدراسة الخاصة بالتفاعل الاجتماعي والتصوير البصري للأطفال. وانقسمت الدراسات التي تناولت الأطفال إلى نمطين: أحدهما يركز على الأطفال ودورهم في إنتاج المعني من خلال التصوير، ويطلق على هذا النمط التطبيق الأمبريقي empirical application أما الآخر فيركز على الأطفال كموضوع للتصوير البصري ويطلق عليه بحث العالم الحقيقي Real World Research (Stephen parkin:2016,p221).

فيما يتصل بصنع الأفراد للمعني تناولت أحد هذه الدراسات إنتاج الأطفال للمعني من خلال تسجيل حركتهم وتفاعلهم مع المكان، حيث رأت الدراسة أن الأساليب البصرية مناسبة أكثر من الكلمات المنطوقة في رصد المعني، وذلك من خلال دراسة حالة تفاعل الأطفال مع المتاحف في بريطانيا، وكذلك دراسة حالة أخري لتفاعل الأطفال اليابانيين مع المناظر الطبيعية landscape، وخلصت الدراسة لأن التصوير البصري محايد في نقل المعني وأفضل في رصد

التباينات الثقافية والتفاعلات الاجتماعية مع المكان عن الكلمات المنطوقة التي تحمل أكثر من دلالة (Abi Hackett and Dylan Yamada-Rice:2015,pp29-49).

كما ركزت إحدى الدراسات علي منهجيات الرقمية البصرية للأطفال من خلال رؤى الميدان، ربطت هذه الدراسة بين صنع الأطفال للواقع الاجتماعي واستخدام المصادر المتاحة لهم لصنع هذا التصور، وهذه المصادر قد تكون مادية وغير مادية وتتضمن التعبيرات الشفوية والإيماءات والدلالات البصرية، وعلي هذا الأساس، تم استخدام التصوير الرقمي من قبل الأطفال لرصد توجهاتهم من خلال الصور التي يلتقطونها لصنع الواقع الاجتماعي ، لأن الصور تعبر عن واقع يصنعه الأطفال بأنفسهم، خلصت الدراسة إلي استخدام الأطفال للتصوير الرقمي جعل الأطفال يشعرون بالإبداع وقدرتهم علي خلق الواقع الاجتماعي الذي يتصورونه وتجاهل الواقع الذي لا يرغبون بتسجيله (Melanie Hall, Kate Pahl and Steve Pool:2015,pp164-185).

وعلي الجانب الآخر، فقد استخدم التحليل السيميائي والتحليل الأيقونولوجي علي نطاق واسع لتحليل صور الأطفال في المجاعات والحروب التي التقطها المصورون لتصوير القضايا السياسية، والاحتجاجات المناهضة للفصل العنصري، والعنف والقمع (*Photograph analysis of iconic:2017*) فالأطفال الذين يتعرضون للإيذاء ليس مقصورون علي أطفال الحروب والكوارث بل يتصل بهم أطفال الشوارع والأطفال بلا مأوي، فالتحليل البصري لصور هؤلاء الأطفال يعكس الواقع الاجتماعي والبيئة التي يعيشونها بدون تزيف فقد حللت دراسة لوين يونج هزيل برت (Lorraine Young and Hazel Barrett:2001,pp141-152) صور أطفال الشوارع في كمبالا عاصمة أوغندا ولكنها لم تكتف بهذا النمط التحليلي بل استعانت أيضا بالملاحظة والمناقشات البؤرية، فقد ساعد الأسلوب البصري في تحديد المناطق الجغرافية التي ينتمي إليها هؤلاء الأطفال ومن خلال المناقشات البؤرية قارنت الدراسة نتائج الصور بنتائج الدراسة التحليلية مما أثري نتائج الدراسة.

وعلى الجانب الآخر تناولت دراسة نانسي ريان- فينجر (Nancy A. Ryan-Wenger: 2001,pp236-244) تأثيرات الحروب على الأطفال فيما يتصل بالأمن والبناء الأسري في أسر المليشيات المسلحة لمعرفة تصوراتهم عن الحروب وإستراتيجيات التكيف ومستويات القلق وإسقاط المشاكل العاطفية، وخلصت الدراسة بأن الأطفال لديهم مشاكل اجتماعية فيما يتصل بما يطلق عليه متلازمة الأسر العسكرية Military Family Syndrome. كما تناولت دراسة ريان موليندا. تشارتراند Molinda M. Chartrand؛ وبنيامين سيجيل Benjamin Siegel(٢٠٠٥) (Molinda M. Chartrand; Benjamin Siegel :2005,pp371-378) تأثر الأطفال الأمريكيين بالحروب من خلال مشاركه أسرهم في الحرب في كل من العراق وأفغانستان بالتركيز على إصابات الآباء وموتهم أثناء الحروب وتأثيرها على الأطفال والعوامل الاجتماعية الناجمة عن غياب الآباء على الأطفال، وخلصت الدراسة بأن الأطفال يتكون لديهم شعور عدائي نحو الحرب لغياب الآباء وتمزق الأسرة اجتماعيا.

التعليق على الدراسات السابقة:

نظرًا لأن علم الاجتماع البصري من التخصصات الحديثة، فإن التراث العلمي الخاص به اعتمد إلى حد كبير على المنهجيات المستقرة بوصفها بارادايم (تفسير مؤقت) للبحث والتقصي، وقد اتفق الباحثون علي آلية الدراسات الكيفية كمرجعية للتحليل مستقاة من الدراسات اللغوية والأثنوجرافية والدراسات الثقافية والفنية، وإن كان البعض يستخدم المناهج الكمية بوصف المادة الخاضعة للتحليل تعين الباحث علي استكمال معلوماته حول البحث وإن كان أصحاب هذا الاتجاه قليلين، أما فيما يتصل بالجوانب النظرية، فيميل علم الاجتماع البصري إلي الاعتماد علي النظريات التأويلية والمدارس مابعد حداثية التي ترفض القطعية واليقينية وتميل إلي تعدد الرؤى، وفيما يتصل بالدراسات التي تناولت الأطفال وعلاقتهم بالنزاعات المسلحة فإنها تناولت تأثر هؤلاء الأطفال بمهن آبائهم العاملين في المؤسسات العسكرية متغافلة وقوع الأطفال تحت

تأثير الحروب بشكل مباشر وهو ما تحاول الدراسة الحالية تناوله تأسيسا علي منهجية التحليل الكيفي للصور التي يتواجد فيها الأطفال بوصفهم ضحايا للنزاع المسلح.

خامساً: الإجراءات المنهجية للدراسة:

١-منهجية التحليل

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الاستطلاعية ذات الطابع الاستدلالي معتمدة على المنهج السيميولوجي لتحليل التفاعلات والرموز الكامنة في الصور باعتبار أن الصورة ظل للأصل لا تكتمل إلا من خلال التنقيب في خرائط السياق، للكشف عن البني والعلاقات العميقة خلف الصورة، فلا يوجد تأويل نهائي يقر الحقيقة، وفي هذا الشأن لا يهمنا في هذه القراءات/التأويلات المعاني التي تقولها الصورة بقدر ما يهمنا المعاني الباطنة التي تخفيها، فالصورة تروي جزء من الحقيقة ليست الحقيقة ذاتها. وصولا إلى استنباط المجهول من المعلوم، لذا فالصورة تنطوي على الحاضر الذي يشير إلى الغائب، وهذا ما تؤكد عليه منهجية التحليل السميولوجي الذي استخدمته الدراسة وعلى الجانب الآخر، استعانت الدراسة بتحليل التفاعل لرصد التفاعلات والإيماءات والحركات داخل الصورة بوصفها تفاعلات تنقل الواقع الاجتماعي.

٢-عينة الدراسة:

اعتمدت الدراسة على عينة عمدية من سبع صور موضوعها الأطفال العرب كضحايا للحروب، وروعي في الاختيار تنوع السياق المجتمعي للصور، أما فيما يتعلق بمصادر الصور فلقد تم انتقاء الصور الخاصة بالأطفال اليمنيين والسوريين والفلسطينيين من المواقع الإليكترونية لوكالة الأنباء رويترز، ووكالة الأنباء الفرنسية. أما الصور الخاصة بالعدوان الإسرائيلي على مدرسة بحر البقر، التي تم أخذها من أفلام تسجيلية للحدث، والصحف المصرية في فترة وقوع الحدث. وفيما يلي توضيح للبعد المكاني والزماني للعينة:

٢-١ البعد المكاني للعينة: ويقصد به موقع التصوير، وفي هذا الصدد فصور العينة تشمل أربع دول: اثنتان منها تعرضتا للحروب الخارجية علي يد إسرائيل ممثلة في مصر وفلسطين، حيث نعرض لنموذج تاريخي خاص بمصر يتمثل في العدوان الإسرائيلي علي مدرسة

بحر البقر الابتدائية في ٨ أبريل ١٩٧٠، والثاني يخص الأطفال الفلسطينيين وما يلاقونه من اعتداء من قبل الجيش الإسرائيلي، أما النموذج الثالث فيتصل بالصراع الداخلي في سوريا بين قوات النظام والجيش الحر، في حين يتصل النموذج الرابع بحرب داخلية وخارجية ممثلة في الصراع الدائر في اليمين بين قوات الرئيس السابق علي عبد الله صالح، وتدخل أطراف خارجية فيه ممثلة في السعودية وحلفائها من جانب وإيران من جانب آخر، بواقع صورتين لكل حدث من الأحداث الأربعة.

٢-٢ البعد الزمني للعينة: ويقصد به توقيت التصوير أو توقيت الحدث الذي تسجله الصورة، وفي هذا الصد نجد فارق زمني كبير بين صور المشهد المصري وبقية المشاهد العربية، فالأول في السبعينيات، أما بقية المشاهد في العقد الأول أو الثاني من الألفية الثالثة، وفي الجدول التالي نوضح تاريخ كل صورة.

جدول (١) يبين توزيع صور العينة إقليمياً وزمنياً

الدولة	الصور	التاريخ
مصر	صورتان من مجزرة بحر البقر	١٩٧٠/٤/٨
فلسطين	صورة جندي إسرائيلي يصوب البندقة على امرأة وطفلتين صورتان لجندي إسرائيلي يعتدي علي طفل مكسور الذراع	٥ /٢٠٠٨/٤ ٢٠١٥ /٨/٣١
سوريا	صورة لأطفال يتجولون بجوار مدرسة باليرموك صورة نقل الرضع بعيدا عن الغارات بحلب	٢٠١٥/٤/١٤ ٢٠١٦ /٣/١٢
اليمن	صورة سوء التغذية لأطفال اليمن صور للأطفال في المخيمات	٢٠١٦/٩/١١ ٢٠١٦/٩/٢٦

سادساً: نتائج الدراسة:

(١) المشهد المصري (مذبحة بحر البقر):

تنتمي منطقة بحر البقر إلي قرية الصالحية بمحافظة الشرقية، تقطنها ثمانون أسرة يعمل أفرادها في الزراعة وفي منشآت هيئة استصلاح الأراضي، وفي صباح الثامن من أبريل ١٩٧٠، وفي تمام الساعة التاسعة وعشرين دقيقة، أغارت إسرائيل بطائرات الفانتوم الأمريكية الصنع علي مدرسة القرية وعلي ورشة ملاصقة تابعة لهيئة استصلاح الأراضي تعمل في اصلاح الآلات الزراعية، أودت بحياة ست وثلاثين تلميذاً وتلميذة، وأصيب أطفال آخرون وعدد من العاملين بالمدرسة بجروح خطيرة (اليوتيوب: فيديو اعتداء إسرائيل علي مدرسة بحر البقر٢٠١٧).

لم يكن التصوير في هذه الفترة يمكنه تسجيل لحظة وقوع الحدث، فالتصوير لاحق للحدث، فرد الفعل الفوري لا يتوفر في مذبحة بحر البقر، ولكن السؤال: هل الصورة تزيف للواقع وفقا للنهج مابعد البنيوي لعدم توافر الواقعية؟، فالمنهج مابعد بنيوي يطرح أسئلة أكثر من طرحه إجابات عليها، فالصورة تثير تساؤلات أكثر مما تطرح أجوبة، السؤال الأول: هل توقيت التصوير هو التوقيت الفعلي للحدث؟، السؤال الثاني: أين ذوو الضحايا؟، والسؤال الثالث: أين قوات الجيش أو الشرطة من صور الحدث؟ وبالتالي إلى أي مدي عبرت الصور المتاحة لهذه المذبحة بصدق عن حجم الخسائر المادية والبشرية والنفسية للضحايا وذويهم؟

لم يكن البحث عن صور توثق مذبحة بحر البقر بالأمر السهل، فبمراجعة الصحف القومية: (الأهرام، الأخبار، الجمهورية) على مدى أسبوع من تاريخ وقوع الحدث لم نجد صوراً للضحايا، فالأمر لا يتجاوز صورتين لموقع الحادث حيث إنقاص المدرسة المتهدمة بعد القصف، نشرت بعد الحدث بيومين (١٠/٤/١٩٧٠) في جريدة الأهرام عدد ٢٠٤٢٦ السنة السادسة والتسعون، وفي جريدة الأخبار في نفس التاريخ عدد ٥٥٥٢ السنة الثامنة عشر، فقلة الصور وافتقادها للعناصر البشرية أجبر للجوء إلى الفليم التسجيلي الوحيد الذي أنتجه التليفزيون المصري لتوثيق الحدث وبخاصة وإنه يعرض لعدد من الصور الفوتغرافية للحدث وليست صوراً التقطتها عدسات الكاميرات التليفزيونية (اليوتيوب: مدرسة بحر البقر٢٠١٧) ويلاحظ على

الصور أنها تفتقر إلي المهنية وتبتعد عن تصوير الضحايا، ولكن اكتفت الحكومة المصرية حينئذ بالتسويق السياسي للحدث وتحميل أمريكا المسئولية من خلال إمدادها لإسرائيل بطائرات الفانتيوم.

صورة لطفلة من ضحايا بحر البقر	***صورة لموقع قصف مدرسة بحر البقر***

إن صورة الطفلة الملقاة علي الأرض وتصويرها منفردة وبشكل مقرب ألغي الوصف المكاني للحدث، فلا يمكن للذهن أن يلتقط بعض الملامح البسيطة عن المكان وهو الأرض الملاقة عليها الطفلة تميل إلي اللون الأصفر مما يوحي بأن المكان صحراوي، ويظهر علي جسد الطفلة بعض آثار الدماء علي قدميها، وكذلك اللون الأسود علي جسدها مما يوحي أنها انتشلت من الركام، والصورة لا تكشف عن هوية الطفلة، فملابس الطفلة لا تدعم فكرة بأنها إحدى تلميذات المدرسة اللاتي من المفترض أن يرتدين الزي المدرسي، مما يطرح تساؤلاً جديداً هل فعلا تنتمي تلك الصورة للحدث أم ملصقة به؟

إن صورة القصف للمدرسة توحي بمقدار الدمار الذي أصاب المدرسة، وحجم الخسائر المادية مثله مثل تهدم أي مبني لسبب غير عسكري، فالصورة لا تثير المشاعر الإنسانية أو التعاطف لأنها لا تشير من قريب أو بعيد لضحايا الحادث وخاصة الأطفال منهم، بل بالعكس فإن مثل هذه الصورة تحد من حجم الألم وتخفف من فجاعة الحدث.

فضلا عن ذلك فإن الصحف المصرية أخفقت في الترويج الإعلامي الملائم للحدث، ولكنها قدمت صوراً لمذابح صابرا وشاتيلا لتقول إنها صور لمذبحة البقر، يمكن الرجوع إلي بوابة

الأهرام للرابط تحت عنوان: "في ذكرى "بحر البقر".. مجازر الدم الإسرائيلية ضد العرب والأقصى(موقع بوابة الأهرام : "في ذكرى "بحر البقر : ٢٠١٧).

لم تنجح صور مدرسة بحر البقر في رصد واقع المذبحة سوى بالكلمات عبر وسائل الإعلام وتفتقر إلي الدليل البصري الذي يعزز بشاعة الحدث، وربما يرجع السبب في ذلأن التصوير في هذه الفترة لم يكن دقيقا وقادرا علي تصوير الحدث في حينه، وفي المقابل فإن الصور الحالية التي تعيد الذكري التاريخية للحدث تعتمد علي صور ليست لها صلة بالواقع مثل صور مستقاة من أحداث تاريخية أخري كصور العداوان الإسرائيلي علي صبرا وشاتيلا وتضعها بجوار الصور القليلة لمدرسة بحر البقر، وذلك من خلال الرجوع إلي المواقع الإليكترونية للصحف المصرية التي تصف الحدث، ولقد ظهر ذلك بشكل جلي عند مقارنة هذه الصور ببعضها من خلال البحث بالصورة عبر موقع جوجل للصور، ومن ثم فإن عدم المصداقية في رصد الواقع من خلال الصور الحقيقية يجعل المشاهد يشكك بمصداقية الحدث برمته.

(٢) المشهد الفلسطيني:

وفقا للمدخل مابعد بنيوي لا يمكن اختزال صور الأطفال في المشهد الفلسطيني بمنأى عن السياقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالأطفال في فلسطين، وقصرها فقط على صورهم في النزاعات المسلحة، فالنزاعات المسلحة جزء مصغر من الواقع الاجتماعي للأطفال في فلسطين، فالسياق الاجتماعي Social Context هو الذي ينتج الصور والعلاقات الاجتماعية داخل الصورة حيث تجسد الصورة اللحظة التي نراها في الصورة (Marcus Banks, and David Zeitlyn:2015,p179) دون المرور بالمشاهد الخلفية للصورة. حيث يؤثر السياق على الصور وطريقة إدراك مكوناتها سواء أكان هذا التأثير عاطفيا أو/أم عقليا، وعلى هذا الأساس تؤثر نتائجه على تأويل الواقع الاجتماعي(Glyn W. Humphreys Vicki Bruce:1989,p95)، لذا لابد من رصد المشهد متكاملا من خلال الوثائق والأرقام والإحصائيات التي ترصد مشهد الطفل في الواقع الاجتماعي

الفلسطيني، ولا يتنافى هذا الرصد الكمي مع المدخل الكيفي، ولكن يؤيده من خلال الشواهد والأدلة العقلية والمنطقية.

ترصد المراجع الغربية حجم الدمار الذي ألم بالفلسطينيين جراء إنشاء دولة إسرائيل في ١٩٤٨، بلغت ذروتها في تشريد ٨٠٥,٠٦٧ من الفلسطينيين وتدمير ٥٣١ قرية من السكان الأصليين، مما أدي إلى طرد ما يقرب من ٨٥% من السكان الأصليين وضم ٩٢% من الأراضي الفلسطينية(Jamal Krayem Kanj:2010,pp XIII-XIV).

تؤكد وثائق اليونيسيف أن الفلسطينيين يمثلون أكبر عدد من اللاجئين في العالم وواحدة من أطول حالاته، فإن أحفاد اللاجئين الأصليين هم الآن آباء لأطفال لاجئين، ومن المرجح أن تظل الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الشعب الفلسطيني سواء أكانت في الأرض الفلسطينية المحتلة نفسها أو في البلدان المجاورة له مثل الأردن أو سوريا أو لبنان تشكل تحديا خطيرا للجيل الجديد من الأطفال في المستقبل المنظور (UNICEF:2011,p1)، حيث يوجد بالأردن حوالي ١٠٠,٠٠٠ لاجئ لا يحملون الجنسية؛ مما يشكل عائقا لحقوق الأطفال والنساء، وفي المقابل يوجد ٢% من إجمالي الشعب السوري للاجئين فلسطين يتمتعون تقريبا بحقوق الجنسية، أما في لبنان فإن الوضع أشد وطأة فمنهم من يحمل الجنسية اللبنانية ومنهم الآلاف الذين لا يحملونها ويواجهون قيودا صارمة في أماكن سكنهم ويعتمدون على الأونروا (وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى).

وتؤكد تقارير اليونيسيف أن الفلسطينيين الذين يعيشون في قطاع غزة أسوأ حالا من اللاجئين، حيث يتعرضون للغارات والمضايقات الأمنية من قبل جنود الاحتلال، ففي حرب غزة التي تعد من أكثر المناطق كثافة سكانية على وجه الأرض، أدت الحرب الإسرائيلية علي غزة عام ٢٠١٤ إلي خسائر فادحة في الأطفال، فقد قتل ٥٠٠ طفل وأصيب ٣٧٧٤ بجروح يعاني ثلثهم من إعاقة دائمة ، وأكثر من ١٥٠٠ يتيم، ودمرت الحرب البنية التحتية، وقد أصيب قطاع التعليم والصحة بشدة خلال النزاع الذي دام ٥١ يوما، كما أصيبت ٢٥٨ مدرسة ودور حضانة بأضرار، منها ٢٦ مدرسة غير قابلة للإصلاح، ودمرت سبعة مرافق

صحية وتضرر ٦٧ مستشفيي ومستوصف (*UNICEF:2017, website*)، إن تلك البيانات بمثابة لقطة من مشهد مأساوي من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية نهيك عن المذابح التاريخية للفلسطينيين وأطفالهم في دير ياسين وصبرا وشاتيلا.

إن تحليل صور الأطفال وتعرضهم للقصف المباشر سجله استشهاد الطفل محمد الدرة، ولكن في بعض الأحيان، قد يكون الموت أفضل من التشويهات النفسية والإيذاء البدني، فمشهد مضايقات الأمن الفلسطيني للأطفال واعتقالهم وسلب حريتهم قد يكون أصعب على النفس من الموت المباشر، فموت بكرامة أفضل من العيش في ذل ومهانة، لذا فإن تركيزنا على الصور الخاضعة للتحليل تتناول المضايقات الأمنية الإسرائيلية للأطفال.

الصورة الأولي: جندي إسرائيلي يصوب البندقية على امرأة وطفلتين: حرب غزة ٢٠٠٨ (website Reuters 2018 :Israeli troops kill Palestinian near Gaza border officials)

الحرب على غزة بتاريخ ٥ أبريل ٢٠٠٨ تظهر هذه الصورة جندي إسرائيلي يصوب فوة البندقية علي امرأة وطفلتين يبدو عليهم جميعا الخوف والرعب، وبتحليل مشهد الصورة نجد أن المرأة الفلسطينية يبدو عليها الخوف على طفلتيها وتمسك بيدها كيساً من البلاستك الأسود،

ويبدو على ملامح الطفلتين الرعب والفزع حيث تختبئ الطفلة الثانية خلف الطفلة الأولي وتتشبث بملابس أختها وعينها وحركة جسمها تظهران الهلع من الجندي الإسرائيلي الذي يصوب البندقية.

إن موقف الجندي الإسرائيلي الذي يوجه البندقية إليهن يبدو عليه أنه أراد إخافتهن، فلا يبدو على ملامح المرأة أو طفلتها أنهن يحملن أية أسلحة أو مفخخون بالأسلحة، فقد اعتاد الجنود الإسرائيليون على مشهد التعرض للأطفال والنساء لبث الرعب والخوف في الفلسطينيين غير مبالين بوسائل الإعلام التي تصورهم.

الصورة الثانية: صورة مزدوجة لجندي إسرائيلي يعتدي علي طفل مكسور الذراع.

التقطت هذه الصورة من قبل وكالة الأنباء الفرنسية في ٣١ أغسطس ٢٠١٥ وعلقت عليها الوكالة "جندي إسرائيلي يعتدي علي طفل مكسور الذراع ويطوق رأسه كالقفل"(metro.co.uk:2015).

تبين الصورة ملامح طفل فلسطيني يمسك به جندي إسرائيلي من عنقه ويلف يده عليه، والجندي الإسرائيلي ملثم جزئياً وبجواره مصورة وعائلة الطفل بالقرب منه التي خلصت الطفل فيما بعد، يبدو من ملامح الصورة الأولي أن الطفل يصرخ وهو يحتضن صخرة كان يختبئ وراءها من الجندي الإسرائيلي الذي اقتنصه من بين الصخور، والطفل به كسر في ذراعه الأيسر،

ويرتدي كوفية فلسطينية حول رأسه، فإن الجندي يحمل في يده سلاحاً يطلق عليه العوزي الإسرائيلي (بندقية كبيرة) يرهب الطفل به، ويبدو على الطفل الفزع والصراخ.

أما في الصورة المقابلة فإن أسرة الطفل علي ما يبدو قد قدموا لنجدته وهن ثلاث فتيات ورجل يحاولوا أن يخلعوا الجندي من فوق الطفل والجندي متشبث بالطفل، يريد أن يعتقله، وفي خلفية الصورة عن بعد يبدو مصوراً صحفياً، فتحليل الواقع الاجتماعي للصورة يوحي بأن المنطقة التي وقع بها الحادث التي تكثر بها الصخور المتناثرة والمناطق المرتفعة لذا فإما أن تكون هذه المنطقة بيئة صحراوية أو منطقة سبق للقوات الإسرائيلية هدمها، فالجيش الإسرائيلي اعتاد على أن يدمر البنية التحتية للشعب الفلسطيني. ووجود الصحفيين في المنطقة وعدم تدخلهم لإنقاذ الطفل واكتفائهم بتصوير الحادث يدل على رغبة الإعلاميين في تصوير الحدث ورصد الواقع أكثر من رغبتهم في تغييره، أو قدرتهم على تغييره، فضلا عن اعتيادهم على مثل هذه المشاهد من قبل الجيش الإسرائيلي.

إن المسوغ لتكرار اعتداء الجيش الإسرائيلي علي الأطفال ربما يكون رغبة من إسرائيل في أن يجبروا الآباء خوفا علي الأطفال أن يتركوا الأرض، وفي المقابل يرهبون الأطفال ليدفعوا أسرهم علي الرحيل، وفي الوقت نفسه، فإنهم يرون أن الأطفال عندما يكبروا سوف يتحولون إلي أعداء لهم، ومن ثم فهم أعداء منذ الآن، ومشهد الاعتداء علي الأطفال ليس بالمشهد الجديد في القضية الفلسطينية فهو مشهد متكرر عبر وسائل الإعلام، فقد أوردت منظمة العفو الدولية في تقريرها عن الحرب على قطاع غزة عام ٢٠٠٨ أن الجيش الإسرائيلي عرض حياة المدنيين للخطر وبخاصة الأطفال، من خلال استخدامهم كدروع بشرية لعدم مهاجمة المواقع التي يتحصن بها الجنود الإسرائيليون، كما استعان الجيش الإسرائيلي بالأطفال في مهمات تفتيش الأشياء المشتبه فيها أن تكون مفخخة.

(٣) المشهد السوري:

بدأت انتفاضة الشعب السوري ضد نظام بشار الأسد في جمعة ١٥ مارس ٢٠١١ ضد القمع والفساد وكبت الحريات، التي بدأت باعتقال خمسة عشر طفلا في ٢٠١١/٢/٢٧

وتعذيبهم لأنهم كتبوا عبارات مناهضة للنظام متأثرين بالثورتين التونسية والمصرية، (Marwan Bishara:2013,p91) وبحلول نهاية أغسطس ٢٠١١ قتل ٦٩١ شخصا علي يد النظام وبلغ عدد المعتقلين ٢٠,٠٠٠ ألف شخص، وقد أدي ذلك إلي انشقاقات في الجيش، مما أدي إلي تشكيل حركة جيش سوريا الحر، ولم يقف المشهد السوري عند هذا الحد من الصراع الداخلي، ولكن أظهرت التقارير دعم كل من روسيا وإيران وحزب الله اللبناني للنظام السوري (Obaida Fares:2015,pp151-153) وفي المقابل دعمت أطراف أخري الجيش الحر مما جعل الحرب حرباً دولية بصبغة أهلية، مما صعب سقوط نظام بشار، وصعب سيطرة الجيش الحر علي سوريا، وأفضت التدخلات الخارجية إلي زيادة أمد الحرب وصولا إلي التداعيات السلبية علي الوضع الاقتصادي والاجتماعي في سوريا.

كما أحدثت الحرب في سوريا انهيارًا تامًا في النظام التعليمي بسبب تضرر وهدم المدارس، حتى باتت نسبة الانخراط في المدارس لا تتعدي ١٠%، فقد تعرضت ٢٤٠٠ مدرسة للضرر الجزئي والكلي وما يزيد عن ٢٥٠٠ مدرسة باتت تستعمل لإيواء النازحين، وتشير تقارير اليونيسيف للمناطق التي لا تزال تتوفر بها منشآت تعليمية يدفع الهاجس الأمني الأهل إلى عدم إرسال أطفالهم إلى المدارس خشية على حياتهم، يضاف إلى معاناة الأطفال ألحقهم بالجيش نظير راتب شهري مقداره ٣٠ ألف ليرة (اتحاد الديمقراطيين السوريين: ٢٠١١ صور أطفال سورية).

يعتمد ما يقرب من ٦ ملايين طفل الآن على المساعدة الإنسانية، واضطر ما يقرب من نصفهم إلى الفرار من ديارهم. وقد فقدت العديد من الأسر كل شيء – بما في ذلك، الحماية التي تأتي مع الجنسية، وقد استقبلت البلدان المجاورة، بما في ذلك مصر والعراق والأردن ولبنان وتركيا، الملايين من اللاجئين السوريين (*UNICEF.* (2017).*Syrian crisis*)، وبالرغم من صعوبة تقدير عدد الأطفال الذين قتلوا على مدى السنوات الست من النزاع بدقة، فقد تم توثيق وفاة ٢٤ ٥٧٨ طفلا، وتقدر بعض المصادر أن عدد القتلى يصل إلى ٥٥ ٠٠٠ (Carey Mulligan:2017,p4)

أ. الصورة الأولي: الأطفال السوريون والمدارس:

تم التقاط هذه الصورة من قبل وكالة رويترز في ٢٠١٥/٤/١٤ مكتوب في تعليقها الأطفال يمشون بجوار حائط مطلي داخل مدرسة جرمك في مخيم اليرموك، بيد أن واقع الصورة يشير إلى العديد من الدلالات التي ترويها الصورة وتلك التي يرويها السياق الخارج عن الصورة.

تشير ملامح الرسومات المرسومة علي الحائط إلي أن هذه المدرسة هي مدرسة فتيات، فالرسم الجدار بيض مُدرِسة وفتاتين ولا وجود للأولاد أو المدرسين، مما يدعم هذه الفرضية ، عبارة "من حقي أن أتعلم "المكتوبة على حائط المدرسة تتضمن في مضمونها الكامن مناشدة لمجتمع لديه تحفظات بشأن تعليم الفتيات وربما يتفق مع ذلك إن موقع التصوير في اليرموك مما يشير بأن هذه التحفظات ترتبط بالمناطق النائية عن العاصمة، علي خلاف ما يروي التعليق، كما تكشف الصورة وحشية القصف الذي لا يستثني المدارس ولا مخيمات الإغاثة التي تضم هذه المدارس، وإذا ما تأملنا آثار القصف على الحائط يتبين أن طلقات النار منها القريب ومنها البعيد، دليل علي وجود مجموعة من الجنود تصوب وليس فردا واحدا، والدليل الآخر بأن الصورة من خارج المدرسة أن الطالبين الذين يمشيان بجوار سور المدرسة هما ولدان، مما يعني

أنهما متجهان إلي مدرسة أخري. كما تشير ملامح الصورة إلي وجود رسم ناحية اليمين لمسجد قبة الصخرة، في إشارة إلى القضية الفلسطينية وأهميتها لدى سوريا، مما يشير إلى هذا الرسم الجداري، يسبق زمنياً فترة التوترات السياسية والعسكرية التي تشهدها سوريا في السنوات الأخيرة.

بيد أنه يوجد في خلفية الصورة أيضا بعض الكتابات والرسومات المضافة إلى الصورة الأصلية مكتوبة أو مرسومة بالرصاص ويتضح عند تكبير الصورة وجود رسم لجمجمة بشرية وعليها عظمتين وهو الرمز المتداول للإشارة للخطر أو الموت، كأن الشخص الذي رسمها يعبر عن مشاعر الخوف وإحساسه بالخطر الذي يحيط كل الأماكن بما فيها المدارس، أو يريد أن يرسل إنذار بأن المدارس لم تعد أماكن آمنة على مرتديها وبخاصة الأطفال، فالتعليم لم يعد حقًا، كما هو مكتوب على الصورة "من حقي أن أتعلم" بل تحول إلى مخاطرة غير آمنة.

ويقوي من بلاغة هذه الصورة أن هذه المدرسة هي مدرسة فتيات وصغار السن كما يبدو من ملامح الصورة، والعدوان هنا مضاعف ليس عدوانا علي الأطفال فحسب بل هو عدوان علي الأطفال والإناث منهم وصغار السن، فالعدوان لا يفرق بين امرأة كبيرة أو طفلة صغيرة، فهذه الصورة تشير في دلالاتها الإجمالية إلي عدم الأمان التعليمي في سوريا ويقوي من فرضية السياقات الخارجية للصورة فلا يمكن أن يكون هناك انتظام للتعليم وسط أجواء الحرب، فالحياة أبقي من التعليم وهذا ما يفسر نسبة ١٠% فقط هي التي تواظب علي التعليم.

ب. الصورة الثانية: نقل الرضع بعيدا عن الغارات:

تم التقاط هذه الصورة من قبل وكالة الأنباء الفرنسية في غارة جوية بحلب ١٢ مارس ٢٠١٦ يتم فيها نقل الأطفال بعيدا عن الغارات التي نقلتها صحيفة النيويورك تايمز (www.Nytimes.com:2016)

تشير الدلالات الداخلية للصورة إلي وجود انقاض المباني مما يدل على تعرض هذه المنطقة إلي غارات جوية عنيفة أو هجوم صاروخي، بالإضافة إلي وجود مجموعة من العمارات السكنية المتلاصقة، مما يعني أن القصف متعمد علي المناطق السكنية من قبل قوات النظام السوري لإرهاب المدنيين.

توضح الصورة وجود رجلين يحمل كل منهما طفلا رضيعا ينقله خارج العمارات السكنية بناء علي تعليق الصورة يمرون علي ركام المباني بهدف إيصالهما إلي مكان آمن، وبالصورة أيضا طفل يتجه نظره إلي الأمام دليل علي أنه يتتبع حركة الرجلين، ربما يرجع السبب في ذلك لنظرته إلي المصور الذي يلتقط الصورة، وربما ينظر إلي رجل ثالث سابق لهذين الرجلين، علي الرغم من أن جسم الطفل يتجه نحو الاتجاه العكسي لنظره فيما عدا وجهه، إن التفات جسم الطفل العكسي يحمل دلالات أخري خارج التحليل الداخلي للصورة، فربما يود الطفل ألا يعود إلي منطقة القصف التي أرعبته فهو بين خيارين أحدهما انتمائه وأهله إلي المنطقة، والآخر الفرار من المنطقة التي تعرضت للقصف.

يتضح في خلفية الصورة ظهور سيدة تقف في الدور الأول في إحدى العمارات المتضررة من القصف، حيث سقطت تماما واجهة وحدتها السكنية مما يشير لأنه بالرغم من ضراوة القصف وما نتج عنه من أضرار وخسائر إلا أن مازالوا المدنيين يعيشون في بيوتهم المتهدمة مما يشير بإنه ليس لديهم بدائل أخرى.

كما تشير خلفية الصورة أيضاً إلى وجود مجموعة من الشباب يحمل أحدهم كاميرا للفيديو يصور بها الركام وبجواره مجموعة من الشباب، فربما يكون المصور مراسل لأحد وسائل الإعلام، وربما يكون من الأهالي المتضررين من القصف، ففي حال كونه إعلاميا، فإن ذلك يعطي دليلا علي اهتمام وسائل الإعلام بالحدث وتغطيته بالزوايا الأفقية والرأسية، فالمصور الذي يلتقط الصورة التي نحن بصددها يصور بطريقة رأسية تعكس خلفيات المشهد ككل ليضعنا أمام مشهد مكتمل من الناحية الاجتماعية يحدد فيه البنايات وطولها وعمق الشارع والحالة الاجتماعية لساكنيه، فطول العمارات السكانية وفقا للخلفية يتكون من خمسة طوابق وازدحام المباني وضيق الشوارع يدل أنها منطقة شعبية، أما المصور الآخر، فإنه يركز علي حدث بعينه آثر أن يوصله للرأي العام ولا يمكن التكهن بالمشهد الذي يصوره لإغلاق منطقة الرؤية بالأشخاص الرأسيين في الحدث.

(٤) المشهد اليمني:

تدور **الحرب الأهلية اليمنية** بين جماعة الحوثيين والقوات الموالية للرئيس السابق علي عبد الله صالح المدعومين من إيران من طرف، والقوات الحكومية الموالية للرئيس عبد ربه منصور هادي المدعومة من السعودية وحلفائها من طرف آخر، بدأت هذه الحرب بمعارك وهجمات شنها الحوثيون والقوات الموالية للرئيس السابق علي عبد الله صالح للسيطرة على محافظة عدن وتعز ومأرب. وبدأ الهجوم في ٢٢ مارس ٢٠١٥، باندلاع اشتباكات في محافظة تعز(www.BBC.com Arabic:2018)

لقد تسبب الصراع في اليمن في خسائر مادية وبشرية جسيمة تحمل الأطفال النصيب الأكبر منها، حتى قبل اندلاع النزاع في مارس ٢٠١٥ واجه اليمن تحديات عدة من انتشار

الفقر ونقص الغذاء والخدمات الصحية،والآن، وبعد نزوح أكثر من ٢,٢ مليون شخص، قطعت واردات الغذاء والوقود قصرا ودمرت سبل العيش، فإن أكثر من ٧٠ % من اليمنيين بحاجة إلى المساعدات الإنسانية (www.Mooniif.com:2018) وفيما يتعلق بالخسائر البشرية قتل ما يقرب من ٤٠٠٠ مدني نتيجة مباشرة للنزاع، بينهم ١٣٣٢ طفلا. وهناك آلاف آخرون مهددون بسبب الحرمان الناجم عن النزاع، وتقدر اليونيسيف أن أكثر من٤٦٠,٠٠٠ طفل في اليمن يعانون من سوء تغذية حاد، في حين يعاني ٣,٣ مليون طفل وحوامل أو مرضعات من سوء التغذية الحاد، وحتى بعد انتهاء النزاع، قد تمتد آثار سوء التغذية إلى إعاقة النمو والتأخر العقلي فضلا عن اعتبارها أحد أهم أسباب وفيات الأطفال. وقد تضاعف عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس – الذين وصلوا بالفعل قبل النزاع – إلى مليوني شخص بسبب عدم تمكن أكثر من ٣٥٠,٠٠٠ طفل إضافي من الالتحاق بالمدارس بسبب الإغلاق(website Mooniif:2018).

كما دمرت البنية التحتية للمياه والصرف الصحي في كافة الأنحاء، مما يشكل مخاطر صحية خطيرة، وأدت القيود المفروضة على استيراد الوقود إلى تعطيل توصيل المياه إلى الملايين في واحدة من أكثر البلدان ندرة للمياه على وجه الأرض، وقد أدى نقص الوقود أيضا إلى تقليص فرص الحصول على الرعاية الصحية، نظرا لأن المستشفيات غير قادرة على تشغيل المولدات التي تحتاج إليها.وفي ٦ أكتوبر ٢٠١٦، أكدت السلطات الصحية في اليمن تفشي وباء الكوليرا، مما يشكل خطرا على الصحة بشكل متزايد على السكان – ولا سيما الأطفال – نظرا لتدهور النظام الصحي (*Yemen conflict UNICEF:2017*).

التحليل السوسيوبصري لصور أطفال اليمن:

تشير الصورة الأولي إلى ما يلاقيه اليمنيون وأطفالهم من معاناة في مخيمات النازحين هربا من ويلات الحرب، وتشير الثانية إلى سوء التغذية نتيجة قضاء الحرب على الأطعمة، لكن لكل صورة دلالاتها الاجتماعية التي تظهر من خلف المشهد.

أ. الصورة الأولي: أطفال اليمن النازحين بعيدا عن الحرب

اليمن ٢٦ سبتمبر ٢٠١٦. مصورة من قبل وكالة رويترز

تضم الصورة عائلة تتناول أحد الوجبات خارج خيمتها في مخيم للنازحين بسبب الحرب قرب صنعاء، تحاول هذه الصورة تجسيد معاناة الأسر الهاربة من مناطق المعارك.

يتسم التحليل الخارجي للصورة بالعمق فيما وراء المشهد، فبالنظر إلي خلفية الصورة يتبين وجود مجموعة من الغرف أو المخابئ المتهالكة لا يزيد طولها عن المتر، فلا يدخلها أفراد الأسرة إلا في حالة النوم، وقد يكون بناؤها بارتفاعات قليلة حتى لا تكون بارزة وملفتة للنظر فتكون مستهدفة من قبل طرفي المعركة، وهذه الارتفاعات المحدودة لتلك الغرف تجبرهم لدخولها منحنين مما يعني أن الأمان يذلهم ويكلفهم كرامتهم ، يتضح أيضا من الصورة إن هذه البنايات مغطاة بأكياس من البلاستك أو الأقمشة للاستظلال بها من أشعة الشمس، وهذه الصورة داخل صحراء لا يحيط بها شيء عرضة لتيارات الهواء والأتربة والعواصف، وهذا المشهد الخلفي يحيلنا إلي جملة من الأسئلة يثيرها النهج مابعد البنيوي من خلال بنائه للسياق، وهذه الأسئلة التي تكمل المشهد المتروك للمشاهد تأويلة، وقطعا نختلف في التأويل لعدم وجودنا في المشهد، وهذه الأسئلة هي: ماذا تعمل هذه الأسرة في مكان لا يوجد فيه عمل؟، كيف تحصل علي قوت

يومها؟، كيف تجلب الماء الكافي والصالح للشرب والاستحمام؟ ما مستقبل هؤلاء الأطفال؟ وما مصيرهم إذا ما طال أمد الحرب؟ هذه الأسئلة البسيطة تثيرها خلفية الصورة.

وللانتقال إلي أمامية الصور نجد أن الزوج حافي القدمين، موجهاً نظراته نحو الأرض، ويبدو عليه ملامح اليأس والحزن، ممسكا بالخبز، أما زوجته فتمسك بيدها قطعة من الخبز يبدو أنها توجهها إلى أحد أبنائها الذي يظهر في الطرف الأيمن للصورة مكتوف الذراعين، فبالرغم من قلة الطعام المتوفر والذي لا يتجاوز كيس من الخبز فالأم حريصة على إطعام كافة أطفالها، وإذا جئنا لبقية أفراد الأسرة فالطفلة الصغيرة التي بجوار أبيها والتي لا يزيد عمرها عن ثلاث سنوات، فإن تعبيرات وجهها ونظرات عينيها تشير إلى نوع من الترقب والخوف والوجوم، أما الطفل الثاني الذي يشرب الماء فإن شكل شعره غير الممشط يوحي بأن الاهتمام بالمظهر رفاهية غير متاحة في ظل الظروف العصيبة التي يوجهونها، يشير أيضاً إلي قله الماء وعدم وجود المكان المناسب للاستحمام، أما الابن أو الابنة الأخيرة فهي مكتوفة اليدين لا تشارك أسرتها الطعام مما يحمل أكثر من دلالة فقد يكون لا يعجبها تناول الخبز فقط، وقد تكون تؤثر إخوتها الصغار على نفسها لقلة الطعام، وملامحها تشير إلي الترقب المشوب بخيبة الأمل.

وإذا ما قارنا ملابس أفراد الأسرة سنجدهم جميعهم يرتدون ملابس شتوية بأكمام طويلة باستثناء الأب الذي يرتدي ملابس صيفية خفيفة بالرغم إن الصورة تم التقاطها في أواخر شهر سبتمبر مما يحمل دلالة جديدة وهي حرص الأبوين على تدفئة أبنائهم في هذه البيئة الصحراوية الباردة، مؤثرونهم على أنفسهم فحملهم لملابس ثقيلة لأبنائهم له أولوية لحملهم ملابس ثقيلة للأب، وبخاصة وأن حمل الأمتعة والتنقل بها من الأمور الشاقة التي تجبرهم على الاكتفاء بالضروريات.

من خلال تحليل العناصر الأساسية للحياة الماء والطعام، يبدو على الماء أنه يتم الحصول عليه من خلال وعاء صغير (جركن) يحتوي على خمس لترات من الماء تبدو ملامحه خلف الفتاة ويبدو عليه عدم النظافة، أما الطعام فهو بمثابة كيس يحتوي على خبز فقط،يتبين ذلك من خلال اللقيمات التي يمسك بها الزوج..

إن هذا السياق المفتوح للأسئلة سالفة الذكر يحيلنا إلي مجموعة من السيناريوهات مفتوحة التأويل حول هذه الأسرة وهؤلاء الأطفال، فيمكن أن تكون هذه الأسرة تعتمد في مائها علي الآبار أو علي الماء المقدم من هيئات الإغاثة، أما الطعام فيمكن القول من خلال وجوده في كيس بلاستيكي أن الزوج قد أخذه من هيئات الإغاثة أو قام بشرائه من أحد الباعة، إن هذا الوضع يكشف عن فقدان الأمن الاجتماعي الخاص بالحاجات الأولية المآكل والمشرب، وينجم عنه أيضا عدم وجود بيئة صحية، نظيفة، ومن غير المتوقع ان يكون هؤلاء الأطفال منتظمين في مدارس فهم في حالة من التنقل وعدم الاستقرار، اضطروا لها لظروف الحرب التي تشهدها بلادهم.

ب. الصورة الثانية: الأطفال وسوء التغذية في اليمن:

يشير التعليق المصاحب للصورة بأن الطفل سالم عبد الله مصباح السن ٦ سنوات يقيم مع والدته وهي تجلس على سرير في وحدة العناية المركزة لسوء التغذية في مستشفى في مدينة الحديدة على البحر الأحمر، اليمن ١١ سبتمبر / أيلول ٢٠١٦. رويترز.

تكشف الصورة حجم الألم النفسي والبدني الذي تعانيه الأسر اليمنية التي تشهد بعينيها ضياع أطفالها جوعاً ومرضاً بفعل حروب أهلية ودولية واقتتال على الحكم والسلطة، وما يزيد

من ألمهم أنهم مكتوفو الأيدي ليس بوسعهم أن ينقذوا أطفالهم الذين يحتضرون، فوضع الاستعداد للتصوير الذي تتخذه الأم وإمساكها لطفلها شبه عار وتوجيهه إلى عدسة الكاميرا يدعم فرضية قبول الأم أن تظهر مع ابنها في صورة تنقلها إحدى أهم وكالات الأنباء، ويعد هذا القبول بمثابة استغاثة من الأم لكل من يشاهد الصورة لينقذ صغيرها من الموت، فالصورة السابقة تخاطب الضمير العالمي والعربي لنجدة هؤلاء الأبرياء من معركة لا ناقة لهم فيها ولا جمل، كما تقر واقع نقص الغذاء والدواء ومحدودية المساعدات الإنسانية.

وإذا ما انتقلنا إلى التحليل التفصيلي للصورة سنجد أنه يضم عنصرين المكان والأشخاص فبشأن المكان فهو وحدة عناية مركزة للأطفال الذين يعانون سوء التغذية وإذا تفحصنا خلفية الصورة يتضح إن الجدار الذي تستند عليه الآسرة ليس جداراً أسمنتياً بل هي تركيبات معدنية وهذا يعني أحد أمرين: إما هذه المستشفى مقامة على وجه السرعة وبشكل مؤقت لاستقبال ضحايا الحرب اليمنية من الأطفال أو إن هذا الجدار المعدني بمثابة عوازل بين الغرف.

بالنسبة للأشخاص الذين تضمهم الصورة فهم الأم والطفل سالم وطفل آخر مستلقي على نفس السرير، يبدو من طريقة التصوير وإعداده من قبل المصور أنه يريد من المشاهد التركيز على الطفل سالم فهو يظهر في مركز الصورة وبشكل يوضح جسمه كاملاً، ويظهر قدر ما وصل إليه من ضعف وهزال إلى حد ظهور هيكله العظمي، ولقد أوضح التعليق المصاحب للصورة عمر الطفل (٦ سنوات) ليبرز التناقض بين عمره وحجم جسده، كما تكشف الصورة عجز الطفل عن أداء العمليات الحيوية مثل تناول الطعام وليس استبدل بالمحاليل أو الجلوكوز والذي يظهر مدخله في يد الطفل اليسرى، وعجزه عن عملية الإخراج والذي يظهر في ارتداء الطفل لحفاظة، أما الأم فيظهر الحزن والأسى على ملامح وجهها وعلى ملابسها السوداء، كما يؤكد ضعف بنيتها وشحوب وجهها سوء التغذية لم يطل الأطفال فقط، بل طال الكبار أيضا وهذه نتيجة طبيعية لفترة الحرب الطويلة التي تعيشها اليمن. أما الطفل الثاني الذي يظهر في الصورة، فهو أيضا يُعالج في هذا المركز بدليل مدخل المحاليل الذي في يده، وبالرغم من أنه

ليس محور الصورة؛ لكن إبقاءه في المشهد تأكيداً لفكرة أن الطفل سالم ليس الوحيد الذي يعاني من سوء التغذية بل هناك غيره الكثير من الأطفال ضحايا لتلك الحرب.

سابعاً: النتائج العامة الدراسة:

بعد العرض التفصيلي لنتائج الدراسة التحليلية نطرح الإجابة علي تساؤلاتها:

- **التساؤل الأول** بشأن أوجه التماس بين علم الاجتماع البصري وما بعد البنيوية، من خلال تحليل صور الدراسة توصلت الدراسة بأن هناك بعض الأطر التي تقبل تعدد الرؤى الخاصة بالصور، وعدم الركون إلى التحليل السطحي للصور، فالصور تجسد لحظة واحدة من الزمن تثبت الحدث عندها، وتأتي ما بعد البنيوية لتزيح الستار عن السياقات التاريخية والأيديولوجية والموقفية المتصلة بالصور، فصور بحر البقر على سبيل المثال لم ترصد لحظة وقوع الحدث والضحايا، مما نجم عنه غياب السياق المتصل بالصور، فلم تفلح الكاميرات في تجسيد أو تمثيل الواقع فلقد اكتفت وسائل الإعلام في ذلك الوقت بالتعبير عن الحدث نصاً، بينما ركزت صور المشهد اليمني على الجوانب الإنسانية وتغافلت لحظات وقوع الحدث، بيد أن المشهد السوري ركز على الموقف وتجاهل السياقات المتصلة به، في حين أن المشهد الفلسطيني ركز على العنف ضد الأطفال، مما يعني أن الصور وفقا للنهج مابعد بنيوي ترصد جزءاً واحداً من الواقع وليس المشهد بأكمله.
- **التساؤل الثاني** حول منهجيات ما بعد البنيوية في تحليل الصور سوسيولوجيا، تعتمد ما بعد البنيوية على الصور بوصفها نهجا كيفيا للتحليل ويتوافق ذلك مع رفض مابعد البنيوية للجوانب الكمية، حيث إنها ترفض قياس الواقع، وقد اتفقت الدراسة في هذا الشأن مع الدراسات السابقة مثل دراسة روبرتو سيبرياني وإيمانويلا سي. ديل ري (٢٠١٢) ودراسة إيمي سكوت ميتكالف (٢٠١٢) اللتان أكدتا بأن علم الاجتماع البصري من خلال دراسته للرموز الاجتماعية يؤكد على حقيقة أنه يمكن دمج

المعلومات بشكل صحيح، من خلال إدخال نهج متعدد الوسائط في تحليل الإشارات الاجتماعية.

- **التساؤل الثالث** حول مدي تمثيل الصور للواقع الاجتماعي وفقا لمنظور ما بعد البنيوية، تتفق الدراسة مع رفض ما بعد البنيوية للتمثيل بشكل جزئي، فالعلامة ليست شرطا أن تشير إلى مفهومها الحقيقي ولكنها ترتبط بعوامل أخري، وهو ما أكدت عليه، دراسة كيث كيني (٢٠١٥) فصور مدرسة بحر البقر تشير فقط إلى حجم الدمار الذي لحق بالمدرسة ولا تشير إلى الضحايا، في الوقت الذي حملت فيه آثار العدوان على أمريكا من خلال طائراتها مركزة على الصراع المصري الأمريكي.
- **التساؤل الرابع** الدلالات الاجتماعية لصور الطفل العربي في فترات الحروب من منظور ما بعد البنيوية، ركزت الدراسة على التأثيرات المأساوية للحروب على الأطفال من ناحية المجال الصحي وعدم وجود مأوي مناسب للأطفال (المشهد اليمني) والمجال النفسي (المشهد الفلسطيني) والمجال التعليمي والنفسي (المشهد السوري). مما يشي بأن الصور تعكس زاوية واحدة من الحدث وليس الحدث بكل تفاصيله.
- **التساؤل الخامس** حول كيفية توظيف الصورة لنقل الواقع الاجتماعي الخاص بالأطفال في فترات الحروب، إن رصد الواقع الاجتماعي من خلال الصور وتجسيده يحيلنا إلى قضيتي الذاتية والموضوعية، فالبعض يري بأن الصور ذاتية في رصدها للواقع الاجتماعي، في حين يري البعض الآخر بأنها موضوعية،إن المصورين للأحداث الاجتماعية الذين يتصدون لتسجيل الأحداث عادة لا يتدخلون في الحدث ولكنهم يكتفون بعرض الحدث وهذا ما أظهره تحليل صور الأطفال الفلسطينيين والسوريين، فالمصورون كانوا شاهدين على الأحداث ولم يتدخلوا فيها، ولكنهم يختارون الوقائع التي يسجلونها مثل صور اليمن وسوريا.
- **التساؤل السادس**:حول أوجه الارتباط بين الرموز البصرية والسياقات الاجتماعية في عينة الصور محل التحليل، من خلال منهجية تحليل التفاعل ونظرية النشاط تقوم

الصور بنقل الأفعال والعمليات والأنشطة، وعلي الجانب الآخر، فإن تحليل التفاعل ركز علي الوحدات الصغرى المتتابعة sequence بشكل متعمق مثل الإيماءات وتعبيرات الوجه التي تعد لغة عالمية يمكن من خلالها تحديد الملامح العاطفية للتفاعل معتمدة علي آلية الاستنتاج والاستنباط، وهذا ما عكسته صور الأنشطة التي يقوم بها الفاعلون في المشهد اليمني فقد نقلت ملامح التفاعل اليومي في تناول الطعام، وآليات التفاعل بين الأشخاص، ونقلت مشاعر الخوف والمقاومة لدي الأطفال الفلسطينيين، أما المشهد السوري فنقل الرغبة والإصرار علي التعلم مع وجود آثار لقصف المدارس .

ثامناً: مقترحات لبحوث مستقبلية:

ترجع أهمية الدراسات الاستطلاعية في دورها لتوجيه الاهتمام ولفت الأنظار إلى جوانب مهملة بحثياً في الواقع الاجتماعي، أو الإشارة إلى أساليب منهجية جديدة يمكن الاستفادة بها في تجديد طرق اكتساب المعرفة، وعسى أن تكون هذه الدراسة أدت هذا الدور بشكل فعال، وإذا ما حاولنا أن نجمل أهم النقاط التي يمكن أن تستثمر في بحوث مستقبلية يمكن أن نصل للنقاط التالية:

- يعد علم الاجتماع البصري أحد التخصصات الجديدة على علم الاجتماع في المنطقة العربية، ومن ثم فهو يزخر بالكثير من الموضوعات التي يمكن دراستها من واقع الصور بمختلف أنواعها الثابتة أو المتحركة، الرسمية أو الشخصية، وبخاصة وأن طبيعة العصر الحالي جعل من الصورة أحد مفردات الحياة اليومية، فأفراد المجتمع أصبحوا إما منتجين لهذه الصور أو مستقبلين لها، ومن ثم فهي عنصر لا يمكن إقصاؤه من الواقع الاجتماعي، وبالتالي لا يمكن تجاهله من البحث الاجتماعي.
- تعد المناهج البصرية شكلاً من أشكال التحديث المنهجي يتواكب مع تعاظم دور الصور في الوقت الحالي في حياتنا، والأمر هنا يفتح المجال للباحثين لإجراء

دراسات تعتمد على التحليل السوسيوبصري للصور إما لصور منتجة من مصورين محترفين لصالح جهات إعلامية معروفة، أو صور يلتقطها الباحث بنفسه لمجتمع الدراسة، أو صور ينتجها المشاركون في البحث من المبحوثين، وكل ذلك تنويعات للمناهج البصرية يمكن الاستفادة بها في البحوث السوسيولوجية.

- كما يثير البحث فكرة تعدد السياقات للظاهرة الاجتماعية محل الدراسة _ عند تناوله النزاعات في أربعة دول مختلفة_ وهي فكرة يستند عليها أحد تخصصات علم الاجتماع وهي" علم الاجتماع التاريخي المقارن" وهو أيضاً من التخصصات النادرة على المستوى المحلي والتي تتطلب استثمارها بالمزيد من الدراسات.
- وأخيرا توجه الدراسة الباحثين للدور الإنساني لعلم الاجتماع في رصد أشكال المعاناة التي يعايشها سكان المجتمعات المحتلة أو التي تحيا في ظل الحروب والنزاعات العسكرية، فالنازحون من الحروب والأوضاع المتوترة سياسياً أصبحوا قطاعاً لا يستهان به سواء في الدول العربية أو الغربية مما يتطلب مزيداً من الدراسات التي تسجل خبراتهم في الحرب، وخبراتهم في النزوح والهرب من بلادهم، وخبراتهم وأساليب تكيفهم في البلاد التي لجؤا إليها.

قائمة المراجع

- **مراجع باللغة العربية:**

١. اتحاد الديمقراطيين السوريين .(2018) *أطفال سورية .اتحاد الديمقراطيين السوريين* Retrieved 7 March ٢٠١٧. Available on line:
http://sdusyria.org/?p=22190

٢. صالح والرقص على رؤوس الثعابين
(2018). BBC Arabic. Retrieved 7 March 2018, from.
http://www.bbc.com/arabic/middleeast-41026460

٣. الحرب الأهلية اليمنية (٢٠١٥-الآن)-
Mooniif.blogspot.com.eg. Retrieved 7 March 2018, from http://mooniif.blogspot.com.eg/2016/03/2015-2.html

٤. اليوتيوب (٢٠١٧)فيديو اعتداء إسرائيل علي مدرسة بحر البقر، إنتاج التليفزيون المصري، متاح علي رابط
https://www.youtube.com/watch?v=UTIebcxLdQo

٥. مدرسة بحر البقر(٢٠١٧)
https://www.youtube.com/watch?v=UTIebcxLdQo

٦. موقع بوابة الأهرام : "في ذكرى "بحر البقر (٢٠١٧)
http://gate.ahram.org.eg/NewsContentPrint/1/70/1431673.aspx

- **مراجع باللغة الانجليزية:**

7. Abi Hackett and Dylan Yamada-Rice(2015)Producing Visual Records of Movement: Making Meaning of Young Children's Interactions with Place,in Eve Stirling, Dylan Yamada-Rice (Eds)Visual Methods with Children and Young People: academics and Visual industries in dialogue Macmillan, pp29-49.
8. Adele Clark(2005)Situational Analysis: Grounded Theory After the Postmodern Turn, Sage.
9. Adesola Joan Akala (2014)The Son-Father Relationship and Christological Symbolism in the Gospel of John, Bloomsbury Publishing.
10. Amy Scott Metcalfe(Summer 2012)Imag(in)ing the University: Visual Sociology and Higher Education, The Review of Higher Education and Work, Journal Compilation, vol 2 no 5, pp 1491–1505.
11. Andreas Bieler, Adam Morton(2014)Images of Gramsci: Connections and Contentions in Political Theory and International Relations, Routledge.
12. Antonio Sandu (2011) Assumtion of Post-structuralism in Contemporary Epistemology, Postmodern Openings, Vol. 7, pp: 39-52
13. Brianl. Ott (2016) Barthes, Roland, in Robert T. Craig (Ed), The International Encyclopedia of Communication Theory and Philosophy,vol1, John Wiley & Sons ,pp159-163.

14. Carey Mulligan (2017) Briefing: 6 Years on a war on Syria's children,warchild.org.
15. Cerezo Moreno Marta (2014) Critical Approaches to Shakespeare: Shakespeare for all Time, editorial UNED.
16. Cerezo Moreno Marta (2014) critical approaches to shakespeare: shakespeare for all time, editorial uned p68.
17. Christen Hine (2000) Virtual Ethnography, SAGE Publications Ltd, p41.
18. David Ross Scheer (2014)The Death of Drawing: Architecture in the Age of Simulation, Routledge, p22.
19. Deinhard, Hanna, (1970) Meaning and Expression: Toward a Sociology of Art. Beacon Press, Boston .
20. Democratic Change, Militarization and Internationalization , In Larbi Sadiki (Ed) Routledge Handbook of the Arab Spring Rethinking Democratization, Routledge
21. Dilani S. P. Gedera،P. John Williams (2015) Activity Theory in Education: Research and Practice, Springer.
22. Dingwall, R. and Quah, S.R. (eds.) The Wiley-Blackwell Encyclopedia of Health, Illness, Behavior and Society. Chichester: Wiley.
23. Eden Davies (2007) Beyond Dance: Laban's Legacy of Movement Analysis, Routledge.
24. Elizabeth Chaplin (1994) Sociology and Visual Representation, Routledge .

25. Feng Baifan (2013) The Founder of Sociology of Art:Arnold Hauser—His Academic and Biography ,Journal of Nanjing Arts Institute(Fine Arts & Design).
26. Foucault, M. (1996). Postmodern and Post structural Theory. In D.H. Jonassen (Ed.), Handbook of Research for Educational Communications and Technology New York: Simon and Schuster Macmillan. pp. 253-295.
27. Fox, N.J. (2014) 'Post-structuralism and postmodernism.' In: Cockerham, W.C.,
28. Geoffrey Batchen (2008) History: 1 antecedents and protophotography up to 1826,in John Hannavy (Ed) Encyclopedia of nineteenth-century photography: A-I, index, Volume 1, Taylor &Francis,pp674-679.
29. Gillian Rose(2016)Visual Methodologies: An Introduction to Researching with Visual Materials, SAGE. Pp X- XIII
30. Glyn W. Humphreys, Vicki Bruce (1989) Visual Cognition: Computational, Experimental and Neuropsychological Perspectives, Psychology Press P95.
31. Gökhan VeliKöktürk (2012) A theoretical overview of the language of visual sociology, Akdeniz Language Studies Conference, Procedia - Social and Behavioral Sciences 70 pp 1200 – 1203
32. Harald Klinke (2014) Introduction: The Image and the Mind (Ed) Harald Klinke, Art Theory as Visual Epistemology, Cambridge Scholars PublishingPp1-10,

33. Harry Jamieson (2007) Visual Communication More Than Meets the EyeMore than Meets the Eye, Intellect Ltd,P58
34. Hartmut Obendorf (2009) Minimalism: Designing Simplicity, Springer Science & Business Media p65
35. Ieva Zake, Michael De Cesare (2011) New Directions in Sociology: Essays on Theory and Methodology in the 21st Century, McFarland, p13.
36. Israeli Troops kill Palestinian near Gaza Border: Officials. (2018). U.S.. Retrieved 7 March 2018, from https://www.reuters.com/article/us-israel-palestinians-violence/israeli-troops-kill-palestinian-near-gaza-border-officials-id USKCN1GF0LA
37. J. Wallace (2005) D.H. Lawrence, Science and the Posthuman, Springer .
38. Jamal Krayem Kanj (2010) Children of Catastrophe: Journey from a Palestinian Refugee Camp to America, Garnet Publishing Ltd, pp XIII-XIV.
39. James P. Spradley (2017) The Ethnographic Interview, Waveland Press.
40. Jason Hughes (2012) SAGE Visual Methods, sage.
41. Johannes Beetz (2016) Materiality and Subject in Marxism, (Post-) Structuralism, and Material Semiotics, Springer.
42. John Grady (2006) Visual Sociology, in Clifton D. Bryant & Dennis L. Peck (Ed) 21st Century Sociology: A Reference Handbook, Sage Publications.

43. Kareen Ror Malone, Stephen R. Friedlander (2012) Subject of Lacan, The: A Lacanian Reader for Psychologists, SUNY Press.
44. Keith Kenney (2005) Representation Theory, Hand book of Visual Communication Theory, Methods, and Media, Ken Smith (ed) London: Lawrence Erlbaum Associates, Publishers, pp 99-123.
45. Kostas Karpouzis, et al.,(2005) Facial Expression and Gesture Analysis for Emotionally-Rich Man-Machine, in Samy Bengio, Hervé Bourlard (Eds) Machine Learning for Multimodal Interaction: First International Workshop, MLMI 2004, Martigny, Switzerland, June 21-23, 2004, Spring pp318-328.
46. Ladan Modir, Ling C Guan and Sohaimi Bin Abdul Aziz (2014) Text, Hypertext, and Hyperfiction: A Convergence Between Poststructuralism and Narrative Theories.
47. Laurie Hanquinet, Mike Savage (2015) Routledge International Handbook of the Sociology of Art and Culture, Routledge.
48. Lorraine Young and Hazel Barrett (2001) Adapting Visual Methods – Action Research with Kampala Street Children, Area vol33 No2 pp141-152.
49. Luc Pauwels (2015) Reframing Visual Social Science: Towards a More Visual Sociology and Anthropology, Cambridge University Press.

50. Marcus Banks, and David Zeitlyn (2015) Visual Methods in Social Research, sage.

51. Martin Howarth-Williams (2014) R.D. Laing: His Work and Its Relevance for Sociology (RLE Social Theory), Routledge.

52. Marwan Bishara (2013) The Invisible Arab: The Promise and Peril of the Arab Revolutions, Nation Books.

53. Mary Eagleton(2008)A Concise Companion to Feminist Theory, John Wiley & Sons.

54. Melanie Hall, Kate Pahl and Steve Pool (2015) Visual Digital Methodologies with Children and Young People: Perspectives from the Field, in Eve Stirling, Dylan Yamada-Rice (Eds)Visual methods with children and young people: academics and visual industries in dialogue Macmillan, pp164-185.

55. Metro (2015) Footage Shows Israeli Soldier Putting Palestinian Boy with Broken Arm in a headlock, available, http://metro.co.uk/2015/08/31/see-footage-of-an-israeli-soldier-putting-boy-in-a-headlock-that-has-rocked-the-world-5368446/

56. Molinda M. Chartrand; Benjamin Siegel (Winter 2005) At War in Iraq and Afghanistan: Children in US Military Families, Psychiatric Quarterly, Vol. 76, No. 4, pp 371- 378.

57. Moore, C., Yamamoto, K., & Moore, C. (1988). Beyond words, Movement Observation and Analysis. New York: Routledge.

58. Nancy A. Ryan-Wenger(April 2001) Impact of the Threat of War on Children in Military Families, Arnrncnn /uurna/ uf Orthupsychiaty, 77(2), pp236- 244.
59. Norbert Wildermuth, Teke Ngomba (2016) Methodological Reflections on Researching Communication and Social Change, Palgrave studies in Communication for Social Change, palgrave Macmillan.
60. Nytimes (2016) For Children Caught in Syria's War, 2016 Was Worst Year Yet, U.N. Says, Avialable, https://www.nytimes.com/2017/03/12/world/middleeast/syria-united-nations-children.html
61. Obaida Fares (2015) The Arab Spring Comes to Syria: Internal Mobilization for
62. OCA Photography Level 3 Course (2019). Postmodernism. Retrieved from https://francessmithcontext.wordpress.com/2014/05/14/postmodernism/
63. Patricia Waugh (2006) Literary Theory and Criticism: An Oxford Guide, Oxford University Press.
64. Patricia Waugh (2006) Literary Theory and Criticism: An Oxford Guide, Oxford University Press.
65. Peter Hamilton (2014) Knowledge and Social Structure (RLE Social Theory): An Introduction to the Classical Argument in the Sociology of Knowledge, Routledge.
66. Peterson's College (2005) Peterson's College Level Examination Program Success, Peterson's.

67. Photograph Analysis of Iconic "Vulture Stalking a Child". (2017). The animal rescue blog. Retrieved 7 July 2017, from https://theanimalrescueblog.wordpress.com/2012/02/22/photograph-analysis/Pp151-153.
68. Raymond L. Hall (2013) Black Separatism and Social Reality: Rhetoric and Reason, Elsevier.
69. Rekha Mirchandani,(2005) Postmodernism and Sociology: From the Epistemological to the Empirical, Sociological Theory, Vol 23: N1, March, pp89-103.
70. Rob Beamish (2016) The Promise of Sociology: Classical Approaches to Contemporary Society, 2nd ed, University of Toronto Press.
71. Robert J. Franzese (2015) The Sociology of Deviance: 2nd Ed, Charles C Thomas Publisher.
72. Robert Young(1996)Torn Halves: Political Conflict in Literary and Cultural Theory, Manchester University Press.
73. Roberto Cipriani and Emanuela C. Del Re (2012) Imagination and society: the role of visual sociology, Cogn Process 13 (Suppl 2):ppS455–S463
74. Ross L. Matsueda (2014) Key Advances in the History of Structural Equation Modeling, in Rick H. Hoyle (ed) Handbook of Structural Equation Modeling, Guilford Publications p33-54.
75. Samina Hadi-Tabassum (2006) Language, Space and Power: A Critical Look at Bilingual Education, Multilingual Matters.

76. Sarah Pink (2012) Advances in Visual Methodology, Australia, RMIT University.
77. Sasha A. Barab Michael A. Evans and Eun-Ok Baek (2004) activity theory as a lens for characterizing the participatory unit, in D.H Jonassen (Ed) Handbook of Research on Educational Communications and Technology, Taylor & Francis pp199-214.
78. Stephen Parkin (2016) An Applied Visual Sociology: Picturing Harm Reduction, Routledge.
79. Tim Strangleman (2008) Representations of Labour: Visual Sociology
80. UNICEF (June: 2011) The Situation of Palestinian Children in The Occupied Palestinian Territory, Jordan, Syria and Lebanon, UNICEF, p1.
81. UNICEF. (2017). In Gaza, a Crisis for Children. Retrieved 13 July 2017,From https://www.unicef.org/infobycountry/oPt_74620.html
82. UNICEF. (2017). Yemen conflict: A devastating toll for children. Retrieved 14 July 2017, from https://www.unicef.org/infobycountry/yemen_85651.html
83. UNICEF. (2017).Syrian crisis. Retrieved 14 July 2017, from https://www.unicef.org/emergencies/syria/